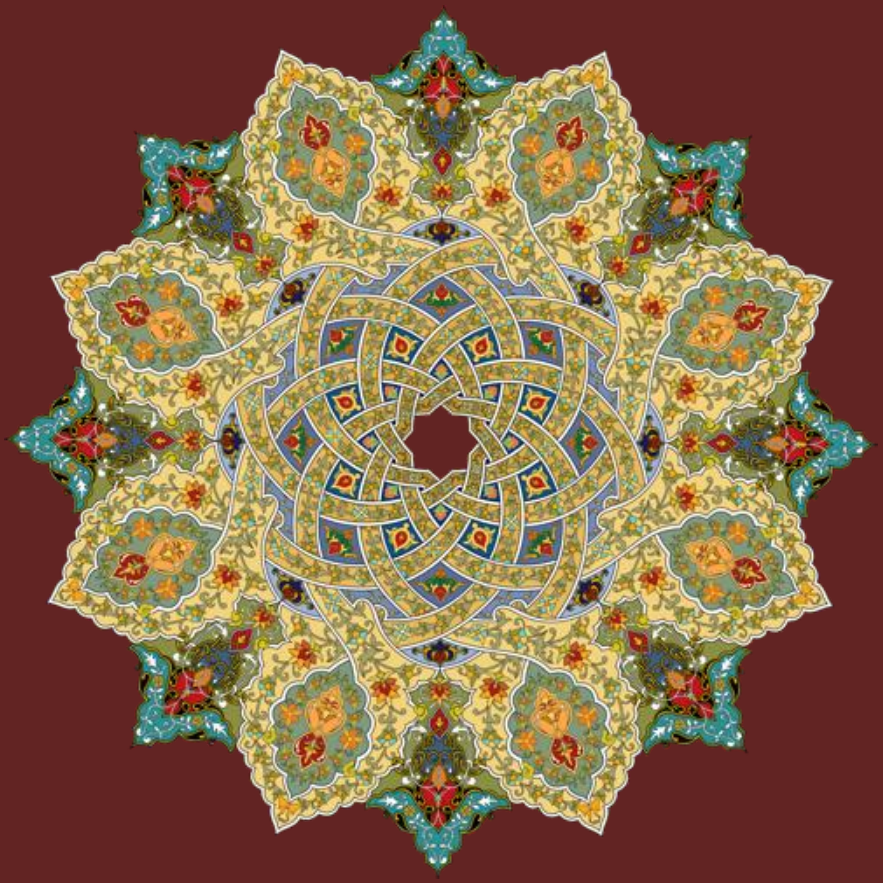

العلمُ المأمول
في قرةِ عين الرسول
صلى الله عليه وسلم

أحمد المُغيّرِي

النسخة الثانية

بسم الله الرحمن الرحيم

مُقدِّمة

الحمد لله وحده ، وصلى الله وسلم على عبده ورسوله نبينا مُحمد وبعـد

هذا كتابٌ استعنتُ بالله في التفـرغ له، ووجدت أثـره في نفسي حين سلطت أداة بحثي واطلاعي على هذه الـمشاهد الـمنتقاة من حياة نبينا عليه الصلاة والسلام ، وهي رسالة مُختصرة تختص بذكر لونٍ من ألوان هديه صلى الله عليه وسلم في الصلاة لا بذكر فضائلها ، ولا أحكامها ، وإنما مشهد صلاته هو صلى الله عليه وسلم حِين صلىٰ وقام وتهجد وأطال القنوت ؛ حتى نعيش مع تعظيمه لها ، ومحبته وتقديمه لها ، واستكثاره الظاهر منها ، وكثرة تزوده من نوافلها ، وحتىٰ تفهم معنى قوله عليه الصلاة والسلام

« **وجعلت قرة عيني في الصلاة** » فهي مُنتهىٰ أنسه، ومبتغىٰ فرحه ، وغاية ما يبحث عنه ، إليكم هذا الـمُحرر الذي جعلته على شكل أبواب برجاء قراءاته وختمه كاملا، حرفا حرفا دون تجاوز شيء منه ، فهو مترابط الأطراف، وهو مناسب لقراءته على أفراد الأسرة صغارا وكبارا ، ذكوراً وإناثـًا ؛ تذكيرا لهم بعظيم شأن الصلاة ، وتعليقا لهم بها ، ولم أُرِد أن أنسب الجهد لنفسي وإنما هو نورٌ ساقه الله تعالىٰ بمنته ورحمته أراه في صفحات السنة فأردتُّ جمعه لنفسي أولا ، ومن باب الحرص العاجل أردتُ نشره وتسهيل الإطلاع عليه ، رجاء أن ينفع الله تعالىٰ به ، ورجاء أن يتجدد أصل المحبة لهذه الطاعة العظيمة بفرضها ونفلها والله تعالىٰ هو الموفق.

الصلاة قبل أن تكون مساجد

حين قدم المدينة، ولم يكن ثَمّ مسجدٌ وإنما هي بيوت أهل الدار المباركة ، وحدائق نخلهم ، وفي أطرافها مرابض الغنم، ومبارك الإبل ، في هذه الأحوال الأولىٰ ؛ كانت الصلاة حاضرة أمام رسول الله ، فهي قرة عينه ، وبها تمام بهجته ، هذا أنس رضي الله عنه يحكي هذا المشهد وإن كان مشهدا سريعـًا غير أن المرور به يُشعرك بهذا المعنى الجميل ، جاء في صحيح البخاري رحمه الله «عن أَنَسٍ، قالَ: **كان النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُصَلِّي قَبْلَ أَنْ يُبْنَى المَسْجِدُ في مَرابِضِ الغَنَمِ**»

*****

الصلاة في المسجد

وربما رأوه وهو يخرج أمامهم فيتخطىٰ أماكن كثيرة من المسجد ، ليقف أمام موضع معين يُصلي إليه ، ويتخذ منه سترة وهي إحدى **سواري** المسجد النبوي الشريف، وقد كانوا يسمونها **السارية** التي يعلق فيها المصحف ، ومنه يُعلم أن أجزاء عظيمة من المصحف كانت قد كُتبت على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأما **السواري** فالمحفوظ في تاريخ بناء المسجد النبوي أنه كان مبني على سواري من جذوع النخل ، جاء في صحيح **البخاري** « قال **يَزِيدُ بْنُ أَبِي عُبَيْدٍ** : كُنْتُ آتِي مَعَ **سَلَمَةَ بْنِ الأَكْوَعِ**، **فَيُصَلِّي عِنْدَ الأُسْطُوانَةِ الَّتِي عِنْدَ المُصْحَفِ**، **فَقُلْتُ: يا أَبا مُسْلِمٍ، أَرَاكَ تَتَحَرَّى**

الصَّلاةَ عِنْدَ هَذِهِ الأُسْطُوانَةِ! قالَ: فَإِنِّي رَأَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَتَحَرَّى الصَّلاةَ عِنْدَها».

ومشهدُ الإمامة يأخذ بالقلوب ، مشهده وهو يُصلي بأصحابه ، ولانأخذ الوصف ممن يُصلي بهم ، بل مِن رجل جاء على الشرك ، فشاهد منظر الصلاة ، ورأى الصحابة من خلفه يقتدون به ، وأقوىٰ ماقد أخذ به ، وارتقىٰ به للمعرفة ثم الدخول في الإسلام -بعد رحمة الله- هو ذلك الصوت القرآني لرسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلي بهم ،

قال جبير بن مطعم : كما في المسند« **قدمت المدينة على رسول الله صلى الله عليه وسلم لأكلمه في أسارى بدر فدفعت إليه وهو يصلي بأصحابه صلاة المغرب فسمعته يقرأ ﴿وَالطُّورِ﴾ إلى ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ ۝ مَّا لَهُ مِن دَافِعٍ﴾ فكأنما صدع قلبي** »، وفي رواية «**فأسلمت خوفا من نزول**

العذاب ، وما كنت أظن أن أقوم من مقامي حتى يقع بي العذاب» نعم كاد قلبه أن يطير وهو يسمع كلام الله بصوت رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وحِين كان الفتح ، وحصل المقصود من زهوق الباطل ، وانتصار الحق، وظهور جماعة المسلمين على المشركين ، ورجوع بلد الله الحرام إلى التوحيد وأهله ، وتطهيره من أدناس أهل الشرك ، حان وقت دخول الكعبة المشرفة ، ورؤية ماكان فيها من آثار أهل الشرك وإخراج كل ما أفسدوه ، في هذا الوقت السريع لم يُلهه شيء عن الصلاة المحبوبة له ، فدخل الكعبة ومكث فيها نهارا طويلا ، وقد كان معه بعض الصحابة منهم **بلال** رضي الله عنه وبقية الصحابة في الخارج ينظرون وينتظرون ، وحين رآهم **عبدالله بن عمر** خرجوا بادر للسؤال سؤال المحب للاتباع

والمشفق خشية التقصير في الاقتفاء ، جاء في **البخاري** « عن **عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ**: أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دَخَلَ الكَعْبَةَ وَ**أُسامَةُ بْنُ زَيْدٍ وَبِلالٌ** وَ**عُثْمانُ بْنُ طَلْحَةَ الحَجَبِيُّ**، فَأَغْلَقَها عَلَيْهِ، وَمَكَثَ فِيها، فَسَأَلْتُ **بِلَالًا** حِينَ خَرَجَ: ما صَنَعَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ قالَ: **جَعَلَ عَمُودًا عن يَسارِهِ، وَعَمُودًا عن يَمِينِهِ، وَثَلاثَةَ أَعْمِدَةٍ وَراءَهُ ـ وَكانَ البَيْتُ يَوْمَئِذٍ عَلَى سِتَّةِ أَعْمِدَةٍ ـ ثُمَّ صَلَّى.**»

نعم كان يُصلي عليه الصلاة والسلام

❋❋❋❋❋

الصلاة وتعظيم شأنها ، والاستعداد الدائم لها

الصلاة هي موردٌ لا ينضب يحتاجُهُ وليّ الله ، لا يصبر عنه ، حين تسنح له الفرصة يأخذ حقه ونصيبه منها ، ويالله كم فات الناس من فضائل الاستكثار من الركوع والسجود في لحظات يسيرة ، تُكتب عند الله ولا تضيع ، ومن تعظيم شأن الصلاة أن يكون وليّ الله دائم الطهارة لها ، مُستعدا لها ، في أي موضع أو أرض قال صلى الله عليه وسلم « **وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً** » ، أما ديمومة الطهارة والالتفات السريع لها فقد سطرت السنة المُطهرة الكثير من تلك الأحاديث الشريفة التي تظهر لك أجمل صورة لحياة رسول الله صلى الله عليه وسلم والتفاتُهُ المستمر نحو الطهارة جاء في **المسند** «**عن عبد الله بن جعفر** ، قال : ركب رسول الله صلى الله عليه وسلم بغلته، وأردفني خلفه، وكان

رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا تبرز كان أحب ما تبرز فيه هدف يستتر به، أو حائش نخل، فدخل حائطا لرجل من الأنصار، فإذا فيه ناضح له، فلما رأى النبي صلى الله عليه وسلم ؛ حنَّ ، وذرفت عيناه، فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم، فمسح ذفراه وسراته، فسكن، فقال: « **من رب هذا الجمل ؟** ». فجاء شاب من الأنصار، فقال : أنا، فقال: « **ألا تتقي الله في هذه البهيمة التي ملكك الله إياها، فإنه شكاك إلي، وزعم أنك تجيعه وتدئبه ؟** ». ثم ذهب رسول الله صلى الله عليه وسلم في الحائط، فقضى حاجته، **ثم توضأ**، ثم جاء والماء يقطر من لحيته على صدره، فأسر إلي شيئا لا أحدث به أحدا، فحرجنا عليه أن يحدثنا، فقال : لا أفشي على رسول الله صلى الله عليه وسلم سره، حتى ألقى الله.

هل رأيتَ هذا المشهد الجميل ؟ وضوءٌ سريع وماءٌ يتقاطر على صدره من لحيته ، واللحية الكثة تأخذ المزيد من الماء ويستقر فيها كعادة الشعر الكثيف " **اللهم صلِّ وسلم على نبيك** "

وفي **حجةِ الوداع** ، وبين تلك العرصات الشريفة ، يرصد الصحابة **رضي الله عنهم** أعماله ، وماقام به ، دون أن يكون على المسلم أي نقصان يعتريه في تتبع أثره صلى الله عليه وسلم في هذا النسك العظيم وقد قال لهم « **لتأخذوا مَنَاسِكَكُمْ ، فَإِنِّي لَا أَدْرِي لَعَلِّي لَا أَحُجُّ بَعْدَ حَجَّتِي هَذِهِ** »

ومما يدل على هذا الفصل من اهتمامه بطهوره وعدم الغفلة عنه ؛ استعدادا للصلاة ، ومحبة للطهارة ، ما رواه **حِبُّهُ أسامة بن زيد رضي الله عنه** ، فقد نقل هذا المشهد الخاص من بينِ هذه الجموع العظيمة التي كانت حاضرة لتلك

الحجة، وأبان **رضي الله عنه** عن حرص رسول الله صلى الله عليه وسلم على وضوئه يقول **أسامة** «دفع رسول الله صلى الله عليه وسلم من عرفة حتى إذا كان بالشعب نزل فبال ثم توضأ ولم يسبغ الوضوء، فقلت : الصلاة يا رسول الله. فقال: « **الصلاة أمامك** ». فركب فلما جاء المزدلفة نزل فتوضأ فأسبغ الوضوء، ثم أقيمت الصلاة **فصلى المغرب**، ثم أناخ كل إنسان بعيره في منزله، ثم أقيمت العشاء **فصلى**، ولم يصل بينهما» والحديث في **البخاري** .

ومِن تعظيمه لشأن الصلاة التي أمره الله تعالى بها ؛ أنه جعل وقتها هُو المُقدّم ولم يتعلق بوجوده صلى الله عليه وسلم ، فإذا حانت الصلاة ، وحل وقت أدائها ، قام إليها مَن في المسجد ولو لم يكن رسول الله فيهم ، وما ذاك إلا لعلم الصحابة بذلك فهو الذي أرشدهم ودَلّهم ؛ عليه الصلاة

والسلام ولم تذكر كتب السنة تأخراً متكررا عن الإمامة ، وإنما هي حادثة أو حادثتين ولكل واحدة منهما أسبابها الخاصة ، وقد كانت أشهرها حينما تأخر عن صلاة العصر ، وقد خرج جهة **جنوب المدينة** وقريبا من **مسجد قباء** بقصدِ الصلح بين جماعتين من الصحابة وكلاهما من الخزرج وقع بينهم خلاف بشري ، وحِين حانت صلاة العصر في المسجد النبوي لم يجد **بلالاً رضي الله عنه** بُدا من أن يُشعر **أبابكر** بأن رسول الله ربما يتأخر ، وقد جاء هذا في لفظ الحديث ب« **حُبس** » ، وطلب منه أن يؤم الناس اغتناما لوقتها ، وتعظيما لشأنها ، وخوفًا من التأخر في أدائها

" وهكذا أهل الصلاة هم في شغل حتى يؤدوها ، وفي قلقٍ حتى يأنسوا بها ، وفي خوف ووجل حتى ينهضوا إليها "

وحين كبّر **الصديق** وبدأ في الإمامة جاء رسول الله ودخل في

الصفوف فأخذ يشقها شقا حتى وصل للصف الأول والناس يصفقون لأبي بكر ؛ وهو لا يلتفت جاء في **البخاري** « عن **سهل بن سعد** **رضي الله عنه** قال : بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم أن بني عمرو بن عوف بقباء كان بينهم شيء، فخرج يصلح بينهم في أناس من أصحابه، فحبس رسول الله صلى الله عليه وسلم، وحانت الصلاة، فجاء **بلال** إلى **أبي بكر** **رضي الله عنهما** فقال : **يا أبا بكر**، إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد حبس، وقد حانت الصلاة، فهل لك أن تؤم الناس ؟ قال : نعم، إن شئت. فأقام **بلال** الصلاة، وتقدم **أبو بكر** **رضي الله عنه**، فكبر للناس وجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم يمشي في الصفوف يشقها شقا، حتى قام في الصف، فأخذ الناس في التصفيح قال **سهل** : التصفيح هو التصفيق. قال : وكان **أبو بكر** **رضي الله عنه** لا يلتفت في

صلاته، فلما أكثر الناس التفت فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأشار إليه يأمره أن يصلي، فرفع **أبو بكر رضي الله عنه** يده فحمد الله، ثم رجع القهقرى وراءه حتى قام في الصف، وتقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم، **فصلى** للناس فلما فرغ أقبل على الناس، فقال: « **يا أيها الناس، ما لكم حين نابكم شيء في الصلاة أخذتم بالتصفيح ؟ إنما التصفيح للنساء، من نابه شيء في صلاته فليقل: سبحان الله** ». **ثم التفت إلى أبي بكر رضي الله عنه، فقال : يا أبا بكر، ما منعك أن تصلي للناس حين أشرت إليك ؟ قال أبو بكر : ما كان ينبغي لابن أبي قحافة أن يصلي بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم.**

❊❊❊❊❊❊

الصلاة قبل الهجرة

وفي بدايات الوحي ، وترادف نزوله الأول ، ومع عظيم الغربة لم يكن هناك شيء يُشغله عن قرة عينه وتمام راحته فهو يروح ويغدو مجاهدا في تبليغ الرسالة ، وحين يحين وقت الصلاة يقوم ولو كان لوحده أو لم يكن معه إلا أولئك الذين شرفوا بالإسلام قبل الناس ؛ جاء في **سيرة ابن اسحاق** «أن العفيف جاء إلى **العباس بن عبد المطلب** امرءاً تاجراً قال: فأتيته أبتاع منه وأبيعه؛ قال فبينا نحن إذ خرج رجل من خباء **يصلي فقام تجاه الكعبة**، ثم خرجت امرأة، **فقامت تصلي معه**، **وخرج غلام، فقام يصلي معه**، فقلت: يا **عباس** ما هذا الدين، إن هذا الدين ما ندري ما هو؟ فقال **العباس**: **«هذا محمد بن عبد الله يزعم أن الله أرسله وأن كنوز كسرى وقيصر ستفتح عليه، وهذه امراته خديجة بنت خويلد آمنت**

به، وهذا الغلام ابن عمه علي بن أبي طالب آمن به؛ قال العفيف: فليتني آمنت يومئذ وكنت أكون ثانيـًا »

وصلاته مملوءة بالتلاوة عليه السلام ، ومعروفة بطول القنوت ، وقد كانت صفحة من صفحات الدعوة إلى الله يراها المشرك فيتأثر لهذا القنوت الشريف ويعرف معنى الخضوع والعبودية الحقة لله تعالىٰ ، ويسمع فيها آيات الله المُنزلة عليه ورد **عند ابن اسحاق** أيضا « عن **ابن عباس** **قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا جهر بالقرآن وهو يصلي تفرقوا عنه وأبوا أن يستمعوا منه، وكان الرجل إذا أراد أن يستمع من رسول الله صلى الله عليه وسلم بعض ما يتلو وهو يصلي يسترق السمع دونهم فرقـًا منهم، فإن رأى أنهم قد عرفوا أنه يستمع ذهب خشية أذاهم ولم يستمع، وإن خفض رسول الله صلى الله عليه وسلم صوته**

فظن الذي يستمع أنهم لم يسمعوا شيئًا من قراءته وسمع من دونهم أشاح له يستمع، فأنزل الله تعالى: ﴿ وَلا تَجْهَرْ بِصَلاتِكَ﴾ فيتفرقوا عنك ﴿ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا﴾ فلا يسمع من أراد أن يستمعها ممن يسترق ذلك دونهم لعله يرعوي إلى بعض ما يسمع فيقتنع به ﴿ وَابْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا﴾ »

❊❋❊❋❊❋

الصلاة والدعاء

وهو في صلاته يُطيل الدعاء ، ويجعل من المواضع التي شرع الله له فيها الدعاء كما أمره سبحانه تعالىٰ موطنا للتنوعِ في سُؤال الله تعالى ، وإظهاراً للافتقار إليه ، في تنوعِ المطلوب ، وإبداءِ المحامد والثناء على الله ، قال صلى الله عليه وسلم « **وأما السجود فأكثروا فيه من الدعاء** » وحِين جاء ذكر وضع اليد اليمنى على اليسرى قال « **إنَّا -مَعاشِرَ الأنبياءِ- أُمِرْنا أنْ نُعجِّلَ الإفطارَ، وأنْ نُؤخِّرَ السُّحورَ، وأنْ نَضرِبَ بأيمانِنا على شَمائلِنا** » . ومن ذلك **دعاء الاستفتاح** الذي يسبق قراءة الفاتحة ؛ فقد شعُر بذلك **أبو هريرة رضي الله عنه** ولم يجد حرَجا من سؤال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليجد مَغبة السؤال علمـًا عظيما، وسنة مُتبعة ، ودعاء تامـًا ؛ فنقله للأمة ليُطبق السنة ، ويعمل بها من شاء

الله من عباده ، ففي صحيح **البخاري** رحمه الله قال **أبوهريرة** : «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسكت بين التكبير وبين القراءة إسكاتة ، قال : أحسبه قال : هنية ، فقلت : بأبي وأمي يا رسول الله، إسكاتك بين التكبير والقراءة ما تقول ؟ قال: «أقول : **اللهم باعد بيني وبين خطاياي كما باعدت بين المشرق والمغرب، اللهم نقني من الخطايا كما ينقى الثوب الأبيض من الدنس، اللهم اغسل خطاياي بالماء والثلج والبرد** »

❋❋❋❋❋

الصلاة والتلاوة

وفي مشهدٍ جميل ، يذكره الصحابة وهم يصلون خلفه عليه الصلاة والسلام يأتي ذكر التلاوة ؛ فيقع الوصف لصوته عليه الصلاة والسلام ، أو لذكرِ أسماء السور التي كان يقرأ بها ، أو ما يعترض صلاته أو تلاوته من أحوال فهذا **الصحابي الجليل عبدالله بن السائب** وهو من صغار الصحابة يذكر صلاته صلى الله عليه وسلم وهو يؤم الناس حول الكعبة **يوم الفتح** ، ويكون المشهد جليـًا وهو يذكر كيف بدأ رسول الله بالإمامة وقد صف نعليه عن شماله ، ثم أم الناس بصوت مسموع ؛ وما اعترض صوته من شرقة أو سعلة احتاج معها للتوقف عن التلاوة ثم الركوع يقول **عبدالله** كما في **مسلم** «**صلى لنا النبي صلى الله عليه وسلم**

الصبح بمكة، فاستفتح سورة المؤمنين حتى جاء ذكر موسى وهارون، أو ذكر عيسى – محمد بن عباد يشك، أو اختلفوا عليه – أخذت النبي صلى الله عليه وسلم سعلة، فركع وعبد الله بن السائب حاضر ذلك». وفي **حديث عبد الرزاق** : «**فحذف فركع** » وفي رواية **النسائي**: « **حضرت رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الفتح، فصلى في قبل الكعبة، فخلع نعليه، فوضعهما عن يساره، فافتتح بسورة المؤمنين، فلما جاء ذكر موسى أو عيسى عليهما السلام أخذته سعلة، فركع** »

وقد بلغ حرص الصحابة وتتبعهم لصلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم أنهم كانوا يلحظون حتى قراءته السرية في صلاة الظهر أو العصر ، ويعلمون بها ، جاء في **البخاري**«عن **أبي معمر** ، قال : قلنا **لخباب** : **أكان رسول الله صلى الله**

عليه وسلم يقرأ في الظهر والعصر ؟ قال : نعم، قلنا : بم كنتم تعرفون ذاك ؟ قال : باضطراب لحيته» نعم تتحرك لحيته الكثة وهم من خلفه ويرونها ، وأما **أبو قتادة رضي الله عنه** فيحكي سماع بعض الآيات منه صلى الله عليه وسلم وهو السماع اليسير الذي يرصده الداني من رسول الله صلى الله عليه وسلم ،قال **رضي الله عنه : كان يسمعنا الآية أحيانا** وفي مشهدٍ آخر كان الراوية فيه **أم المؤمنين أم سلمة** ، والمكان أشرف وأعظم البقاع ، والإمام خير البشر ، تحكي مشهدا جاء ذكره سريعـًا غير أنه يُنبيء عن هذه التلاوة ، وهذه الإمامة العظيمة تحت الكعبة المعظمة ، وقد كانت القصة في **حجة الوداع** ، وقد أصاب **أم سلمة** وعكة منعتها عن مواصلة أعمال الحج والنسك ، وقد بقي عليها الطواف ، **فأمرها رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تطوف راكبة**

ليكون أخف عليها وأيسر ، وأمرها أن تكون من وراء صفوف الرجال لئلا تكون أمامهم وهم في صلاتهم قالت **رضي الله عنها** : يا رسول الله، ما طفت طواف الخروج. فقال النبي صلى الله عليه وسلم: « **إذا أقيمت الصلاة فطوفي على بعيرك من وراء الناس** »

وفي **البخاري** « قالت : شكوت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أني أشتكي، قال: « **طوفي من وراء الناس وأنت راكبة** ».**فطفت ورسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي إلى جنب البيت يقرأ بـ** ﴿ **وَالطُّورِ** ﴾ ﴿ **وَكِتَابٍ مَّسْطُورٍ** ﴾ **وعند الإمام مالك في الموطأ** : «**فطفت راكبة بعيري، ورسول الله صلى الله عليه وسلم حينئذ** يصلي إلى جانب البيت »جميلٌ أن ذكرت **رضي الله عنها** مكان إمامته تأمل « **يصلي إلى جانب البيت**» قد شاهدته **رضي الله عنها** يؤم الناس بجانب البيت

«**الكعبة**» وماذاك إلا لكونها راكبة البعير » .

وأما **أم الفضل** زوجة **العباس** **رضي الله عنهم** أجمعين فلم تنس صوت رسول الله وهو يتلو سورة المرسلات ، وقد تذكرت تلك السورة وقد سمعتْ ابنها **عبدالله** يقرأ فيها ؛ فسردت تلك الرواية لتخبرنا بآخر سورة كان يقرأ بها رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل وفاته ، وهو في مرضه الذي توفي فيه فقد أمّ مَن في البيت ، وهو معصوب الرأس ثم لم يقرأ شيئا بعدها ، جاء في صحيح **البخاري** «**عن ابن عباس** رضي الله عنهما أنه قال : **إن أم الفضل** سمعته وهو يقرأ : ﴿**وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا**﴾ فقالت : يا بني، والله لقد ذكرتني بقراءتك هذه السورة، إنها لآخر ما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم، يقرأ بها في المغرب» ، وفي **سنن النسائي** قالت «أن **أم الفضل بنت الحارث** قالت : **صلى بنا**

رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيته المغرب، فقرأ (المرسلات) ما صلى بعدها صلاة حتى قُبض صلى الله عليه وسلم»

❊❋❊❋❊❋

الصلاة في ليالي رمضان

في رمضان الشهر العظيم الذي تُفتح فيها أبواب الجنة ، ويزداد المؤمن من الصالحات قد كان من هديه عليه الصلاة والسلام أن لا يتأخر عن صلاته التي يقوم بها وقد صلى عليه الصلاة والسلام في ليالي معدودة صلاته من الليل فصلى بصلاته مجموعة من الصحابة رضي الله عنهم ، وقد تكرر منهم هذا الأمر بعض الليالي على وجه التوالي ولكن نبي الله صلى الله عليه وسلم خشي أن تُفرض هذه الصلاة من الليل رحمة بالأمة فيقع العجز منهم عن الوفاء التام الذي لا ينقص ، تقول **أم المؤمنين عائشة** رضي الله عنهما كما في **البخاري** « **قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي من الليل في حجرته، وجدار الحجرة قصير، فرأى الناس شخص النبي صلى الله عليه وسلم، فقام أناس**

يصلون بصلاته، فأصبحوا فتحدثوا بذلك، فقام ليلة الثانية، فقام معه أناس يصلون بصلاته، صنعوا ذلك ليلتين أو ثلاثا، حتى إذا كان بعد ذلك جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يخرج، فلما أصبح ذكر ذلك الناس، فقال : « إني خشيت أن تكتب عليكم صلاة الليل »وفي بعض روايات الصحيح «.وذلك في رمضان. » ولم يكن تأخره عنهم في تلك الليلة عن غفلةٍ منه عن صلاته في الليل ، أو سهو وقع منه ، بل كان في صلاة وقيام وإنما تأخر عن الخروج لهم لذلك السبب الذي خشيه وهو افتراضها عليهم يقول صلى الله عليه وسلم كما ورد عند **أبي داود « أيها الناس، أما والله ما بتُّ ليلتي هذه بحمد الله غافلاً ، ولا خفي علي مكانكم »** وحين سأل بعض التابعين **أم المؤمنين** عن صلاته تلك وهل لها تميز ظاهر، أو عدد زائد ، أو أداء فيه اختلاف ،

أخبرتهم رضي الله عنها بجواب شافي فيه وصف هذه الصلاة التامة الكاملة التي استوفت الحُسن فلا نقص فيها ولا حيف معها « **قال : كيف كانت صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم في رمضان ؟ فقالت : ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يزيد في رمضان ولا في غيره على إحدى عشرة ركعة، يصلي أربعا فلا تسل عن حسنهن وطولهن، ثم يصلي أربعا فلا تسل عن حسنهن وطولهن، ثم يصلي ثلاثا**.

قالت **عائشة** : فقلت : **يا رسول الله، أتنام قبل أن توتر ؟**

فقال : « **يا عائشة، إن عيني تنامان ولا ينام قلبي** ».

❋❋❋❋❋

الصلاةُ والتعليم

كان مِن تعظيمِ الصلاة في حياته صلى الله عليه وسلم أن غرس محبتها في قلوب أصحابه ، وهذا التعليم يأتي على درجات ومنها تعليم أحكام الصلاة ، وكيفية أدائها ، وواجباتها ، وكذلك سننها ، ونوافلها ، وما يُقال فيها من أدعية، وهذا التعليم يأتي على شكل علم يُبتدأون به كما ركب على المنبر في أصله ، وصلى بهم صلاة تامة على ارتفاع منه عن الأرض حتى يراه الجميع قال صلى الله عليه وسلم « **صلوا كما رأيتموني أصلي** » وقد يأتي التعليم على شكل إجابات تتبع الأسئلة التي يُوردها الصحابة رضي الله عنهم ، فهذا **أبو بكر رضي الله عنه** يسأله عن دُعاء يدعو به في صلاته ، ولك أن تتصور السائل والمسؤول من أجل إجلال الجواب والحرص على تعلمه وتطبيقه **فأبو بكر**

رضي الله عنه له المقام الجميل عند رسول الله وهو المُقدم على غيره لسابق فضله **رضي الله عنه** ، ورد في صحيح **البخاري** «عن **أبي بكر** الصديق **رضي الله عنه** أنه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم : علمني دعاء أدعو به في صلاتي قال: « قل : **اللهم إني ظلمت نفسي ظلما كثيرا، ولا يغفر الذنوب إلا أنت فاغفر لي مغفرة من عندك، وارحمني إنك أنت الغفور الرحيم** » ، ومن تمام تعليمه للصلاة أن يكون التغيير سريعا دونما تأخر حين تكون الحاجة للبيان ، فهذا أحد الصحابة الذين قدموا من خارج المدينة صلّى صلاة فيها عجلة ، ثم أقبل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فتدرج معه في البيان ليقع العلم على وجهه ، ولِيستقر البيان، ويظهر الفرق ، وتكون الطريقة في غاية الوضوح ، فقد جاء عند **البخاري**« عن **أبي هريرة** أن النبي صلى الله عليه وسلم

دخل المسجد، فدخل رجل **فصلى**، ثم جاء فسلم على النبي صلى الله عليه وسلم، فرد النبي صلى الله عليه وسلم عليه السلام فقال: «**ارجع فصل ؛ فإنك لم تصل**» «**فصلى، ثم جاء فسلم على النبي صلى الله عليه وسلم** فقال: «**ارجع فصل ؛ فإنك لم تصل** » **ثلاثا**. فقال : **والذي بعثك بالحق فما أحسن غيره، فعلمني**، قال: «**إذا قمت إلى الصلاة فكبر، ثم اقرأ ما تيسر معك من القرآن، ثم اركع حتى تطمئن راكعا، ثم ارفع حتى تعتدل قائما، ثم اسجد حتى تطمئن ساجدا، ثم ارفع حتى تطمئن جالسا، ثم اسجد حتى تطمئن ساجدا، ثم افعل ذلك في صلاتك كلها** »، وحين تتلقف النفوس الدعاء ، وترغب في الإجابة ، وتطمع في تحصيل المقصود ، وتؤمل الظفر بكل مأمولٍ في الخير ؛ يأتي التعليم النبوي الشريف ليس بعيدا عن الصلاة ففيها تُجاب

الدعوات ومع سجودها تُقال العشرات جاء في صحيح الإمام مسلم « عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: « **أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد، فأكثروا الدعاء** »، خُلوص النصح أن تأتيك من أشد عباد الله حرصا على هدايتك ودلالتك وهل هناك أشفق من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال تعالى: ﴿ حَرِيصٌ عَلَيْكُم ﴾ يخبر الناس عن عظيم فضل اقتناص وقت السجود ليستكثروا من الدعاء ، وهو الذي كان يُطيل فيه السؤال بأتم دعاء ، وأوفى عبارة ؛ في الترمذي «عن عائشة **رضي الله عنه** كنت نائمة إلى جنب رسول الله صلى الله عليه وسلم، ففقدته من الليل، فلمسته فوقعت يدي على قدميه وهو ساجد، وهو يقول: «**أعوذ برضاك من سخطك، وبمعافاتك**

من عقوبتك، لا أحصي ثناء عليك ؛ أنت كما أثنيت على نفسك». هذا حديث حسن صحيح.

❊❋❊❋❊❋

الصلاة والمواعظ

وكم هي الحاجة أن يبلغ العبد حدّ المعرفة التامة بصلاته ، أركانها ، وشروطها ، وآدابها ؛ حتى يؤديها على الوجه الأكمل الذي شرعه الله ، وقد كانت مواعظ الصحابة **رضي الله عنهم** لا تنفك من التحذير من التهاون في تلك المنازل التي ترتقي بها الصلاة لدرجة القبول عند الله ، وكم من مُضيع لهذه الشروط والآداب قد فاته خير كثير حين جعل من صلاته محلاً للغفلة عوضا عن الذكر ، ومكانا للعجلة دون التريث والخشوع ، فقد أنكر حذيفة **رضي الله عنه** على رجل صلّى حوله ؛ جاء في البخاري **رحمه الله** «عن حذيفة رأى رجلا لا يتم ركوعه ولا سجوده، فلما قضى صلاته قال له حذيفة : ما صليت، قال : وأحسبه قال : لو مت مت على غير سنة محمد صلى الله عليه وسلم»

نعم هكذا تربوا وفهموا ونهلوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ووالله ماافتروا عليه ، بل بلغوا وصدقوا **رضي الله عنهم**

وقد يحتاج المؤدي لصلاته أن يوعظ، ويُذكر بعظيم شأن الصلاة التي يؤديها ، وبجزيل الثواب الذي ينتظره ، وبكريم هِبة الله الذي دلّه وهداه إليها ومن ذلك كريم الانفراد بالهداية لها ، فكم مِن محروم قد حُرِم الصلاة ، وكم مِن مصدود لا يعرف طريقها ؛ اشتدت عليه الأزمات، وترادفت عليه البلايا ، وهو يتخبط بعيدا عن طريق الصلاة ، جاء في **البخاري** عن **عبد الله بن عمر** أن رسول الله صلى الله عليه وسلم شغل عنها ليلة فأخرها، حتى رقدنا في المسجد، ثم استيقظنا، ثم رقدنا، ثم استيقظنا، ثم خرج علينا النبي صلى الله عليه وسلم، ثم قال: «**ليس أحد من أهل الأرض ينتظر**

الصلاة غيركم» . وكان **ابن عمر** لا يبالي أقدمها أم أخرها، إذا كان لا يخشى أن يغلبه النوم عن وقتها، وكان يرقد قبلها.

قال **ابن جريج** : قلت **لعطاء** وقال : سمعت **ابن عباس** ، يقول : أعتم رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة بالعشاء حتى رقد الناس واستيقظوا، ورقدوا واستيقظوا، فقام **عمر بن الخطاب**، فقال : الصلاة. قال **عطاء** : قال **ابن عباس** : فخرج نبي الله صلى الله عليه وسلم كأني أنظر إليه الآن يقطر رأسه ماء، واضعا يده على رأسه، فقال: «**لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم أن يصلوها هكذا**». فاستثبت **عطاء**: كيف وضع النبي صلى الله عليه وسلم على رأسه يده كما أنبأه **ابن عباس** ؟ فبدد لي **عطاء** بين أصابعه شيئا من تبديد، ثم وضع أطراف أصابعه على قرن الرأس، ثم ضمها يمرها - كذلك - على الرأس، حتى مست إبهامه طرف الأذن، مما يلي

الوجه على الصدغ وناحية اللحية لا يقصر ولا يبطش، إلا كذلك، وقال: « **لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم أن يصلوا هكذا** » وقد جاء في رواية **مسلم** زيادة وفيها «**ثم أمر المؤذن، فأقام الصلاة، وصلى** » نعم صلى بهم تلك الليلة على اجتماع منهم في المسجد ولم يكن أحد يصلي غير أهل المدينة ، وهذا الشغل الذي جاء في الرواية كما ذكره أهل العلم كان انشغال منه صلى الله عليه وسلم في تجهيز وإعداد جيش ، ولذا حصل هذا التأخر ، والصلاة هي الشعيرة التي يُحبها الله وقد فرضها سبحانه ، وجعلها قرة عيون الموحدين من عباده ، وقد تظافرت الأدلة من كتابِ الله عز وجل ، ومن سنةِ رسوله صلى الله عليه وسلم على عظيم فضلها ومما يذكر هنا من باب العظة بجليل قدرها ما ذكره صلى الله عليه وسلم على وجهِ التعظيم لشأن السجود

والركوع فقد جاء عند **الترمذي** « عن **أبي ذر** قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « **إني أرى ما لا ترون، وأسمع ما لا تسمعون، إن السماء أطت وحق لها أن تئط ، ما فيها موضع أربع أصابع إلا وملك واضع جبهته ساجدا لله، والله، لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ، ولبكيتم كثيرا ، وما تلذذتم بالنساء على الفرشات ، و لخرجتم إلى الصعدات تجأرون إلى الله** » .

❋❋❋❋❋❋

الصلاة وبعض الحوادث التي حصلت له ﷺ

في بعضِ الصلوات التي كان يصليها النبي صلى الله عليه وسلم ، أسلم بسببها نفرٌ من الجن وقد وقعت حادثتان مختلفتان كما يقرره أهل العلم ، الأخيرة منهما كان النبي صلى الله عليه وسلم في مكة ، ثم خرج دون علم أصحابه فافتقدوه حتى بلغ بهم الهم أي مبلغٍ ؛ خوفا وإشفاقاً عليه ، وحين قدِم في الصباح أخبرهم عن سبب تغيبه ، وأنه ذهب ليسمع منه القرآن بعض الجن الذين أسلموا ، حتى وصل الأمر **بعبدالله بن مسعود** أنه كان يتمنى أن لو رافقه في هذا التغيب قال **عبد الله** : «**لم أكن ليلة الجن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، ووددت أني كنت معه**» ، وقد وردت القصة كاملة في صحيح **مسلم** فعن **عامر** ، قال: سألت **علقمة** ، هل كان **ابن مسعود** شهد مع رسول الله صلى الله

عليه وسلم ليلة الجن ؟ قال : فقال **علقمة** : أنا سألت **ابن مسعود** ، فقلت : هل شهد أحد منكم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة الجن ؟ قال : لا، ولكنا كنا مع رسول الله ذات ليلة، ففقدناه، فالتمسناه في الأودية والشعاب، فقلنا : استطير ، أو اغتيل. قال : فبتنا بشر ليلة بات بها قوم، فلما أصبحنا إذا هو جاء من قبل حراء. قال : فقلنا : يا رسول الله، فقدناك، فطلبناك، فلم نجدك، فبتنا بشر ليلة بات بها قوم.

فقال: «**أتاني داعي الجن، فذهبت معه، فقرأت عليهم القرآن**». قال : فانطلق بنا، فأرانا آثارهم وآثار نيرانهم، وسألوه الزاد. فقال : لكم كل عظم ذكر اسم الله عليه يقع في أيديكم أوفر ما يكون لحما وكل بعرة علف لدوابكم. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**فلا تستنجوا بهما، فإنهما طعام إخوانكم**».

وقد بوّب الإمام مسلم قبل هذا الحديث (**باب الجهر بالقراءة في الصبح والقراءة على الجن**)

وفي حادثة أخرى نرى فيها رحمته صلى الله عليه وسلم بالصغير ، وعدم نهره أو تعنيفه ، بل أبلغ من ذلك وهو عدم التكدير عليه فيما يصنع من لعبٍ بريء ، نرى فيه أنه صلى الله عليه وسلم أطال السجود على غير المعتاد من أجزاء الصلاة والتناسق في الطول الذي هو السنة فكل أجزائها سواء ، ففي سنن الإمام **النسائي رحمه الله** «عن **عبد الله بن شداد** ، عن **أبيه** قال : خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم في إحدى صلاتي العشاء، وهو حامل حسنا أو حسينا، فتقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم فوضعه، ثم كبر للصلاة **فصلى**، فسجد بين ظهراني صلاته سجدة أطالها. قال أبي : فرفعت رأسي، وإذا الصبي على ظهر رسول الله

صلى الله عليه وسلم وهو ساجد، فرجعت إلى سجودي، فلما قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلاة قال الناس : يا رسول الله، إنك سجدت بين ظهراني صلاتك سجدة أطلتها، حتى ظننا أنه قد حدث أمر، أو أنه يوحى إليك. قال: « **كل ذلك لم يكن، ولكن ابني ارتحلني ، فكرهت أن أعجله حتى يقضي حاجته**» وقد بوب الإمام **النسائي** على هذا الحديث بقوله (**باب : هل يجوز أن تكون سجدة أطول من سجدة**)

❋❋❋❋❋

الصلاة والموعظة والبيان

وفي صلاته صلى الله عليه وسلم يرصد الصحابة تلك المواعظ التي لم تتأخر عن وقتها ومناسبتها ، ففي قصة **الحديبية** وهو مقبلٌ على الصحابة بوجهه الشريف، يعظهم بعد صلاة الفجر ، في ذلك الفضاء ، وتلك الصحراء ، قريبا من الحديبية ؛ **وهي معلومة المكان في الزمن الحالي تقع على طريق مكة القديم** ، وقد كان مروره بها صلى الله عليه وسلم في **السنة السادسة من الهجرة** ؛ عندما قرر كفار مكة صدّه عن البيت وقد جاء مع أصحابه معتمرا ، وقد أصبح الناس على أثر مطرٍ قد نزل بالليل ، ثم أقبل عليه الصلاة والسلام ليُعلم أصحابه **التوحيد الخالص** الذي لا شرك معه ، **فأهل الإيمان ينسبون الفضل كله لله** ، وأما **أهل الكفر فيُرجعون مثل هذا الفضل مِن نزول الغيث منسوباً**

إلى الكواكب سواء كانت نسبة تدبير وهذا هو الشرك كما قرر أهل العلم ، أو نسبة توقيت وهذا مما يلزم الموحد أن يتنزه عنه ، يقول زيد بن خالد الجهني رضي الله عنه «صلى لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الصبح بالحديبية على إثر سماء كانت من الليلة، فلما انصرف أقبل على الناس فقال: «**هل تدرون ماذا قال ربكم ؟**» قالوا : الله ورسوله أعلم. قال: «**أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر ؛ فأما من قال : مطرنا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمن بي وكافر بالكوكب، وأما من قال : بنوء كذا وكذا، فذلك كافر بي ومؤمن بالكوكب**» .

والحديث في **الصحيحين** ، وقد بوّب البخاري رحمه الله في آخر الكتاب (**باب قول الله تعالى : يريدون أن يبدلوا كلام الله**).

وحِين يقع السهو ، وتختلط أصوات المصلين بالسؤال عن زيادة أو نقصان وقع في الصلاة ، يأخذ صلى الله عليه وسلم بالسؤال ؛ ثم يبادر على وجهٍ لا تأخر معه لما شرعه الله له من السجود الذي به جبران الصلاة ، وقد حدث يومـًا أن زاد صلى الله عليه وسلم في الصلاة فلما سمع وشوشة المصلين سألهم ثم استقبل القبلة، وسجد سجدتين ثم سلّم وهم معه ، ثم استقبلهم يُخبرهم عن الحكم الذي يلزمهم فعله ، ويبين لهم بشريته عليه الصلاة والسلام ، جاء في سنن **أبي داود** **رحمه الله** قال **عبدالله بن مسعود**: **صلى** رسول الله صلى الله عليه وسلم – قال إبراهيم : فلا أدري زاد أم نقص – فلما سلم قيل له : يا رسول الله، أحدث في الصلاة شيء ؟ قال : **وما ذاك ؟** قالوا : صليت كذا وكذا.

فثنى رجله واستقبل القبلة فسجد بهم سجدتين ثم سلم،

فلما انفتل أقبل علينا بوجهه صلى الله عليه وسلم فقال : **إنه لو حدث في الصلاة شيء أنبأتكم به، ولكن إنما أنا بشر أنسى كما تنسون، فإذا نسيت فذكروني**، وقال: «**إذا شك أحدكم في صلاته فليتحر الصواب فليتم عليه، ثم ليسلم، ثم ليسجد سجدتين**» .

وفي سفرةٍ كان معها فيها **عقبة بن عامر** ؛ وقد كان يُراوح في الركوب مع النبي صلى الله عليه وسلم ، وقد وجد من قُربه عليه الصلاة والسلام فرصة ليسأله أن يُعلمه من سور القرآن ؛ وقد جاء في بعض الروايات أنه كان يرغب في تعلم سورة هود لكن النبي صلى الله عليه وسلم ، علمه المعوذتين وأخبره بعظيم فضلها ، فلمّا حلّت صلاة الفجر وأمهم رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ بهم سورتي الفلق والناس ، يقول **عقبة** : كنت أقود برسول الله صلى الله عليه

وسلم ناقته في السفر، فقال لي: «**يا عقبة، ألا أعلمك خير سورتين قرئتا ؟** » **فعلمني** ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾ و ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾ قال : فلم يرني سررتُ بهما جدا، فلما نزل لصلاة الصبح **صلى** بهما صلاة الصبح للناس، فلما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من الصلاة التفت إلي فقال: «**يا عقبة، كيف رأيت ؟** » و الحديث عند **أبي داود** في سننه **رحمه الله** وفي راوية عند **النسائي**

قال **عقبة** : «**فأمَّنا بهما رسول الله صلى الله عليه وسلم في صلاة الفجر**» وفي رواية **اتبعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو راكب، فوضعت يدي على قدمه، فقلت : أقرئني يا رسول الله سورة هود، وسورة يوسف** فقال: «**لن تقرأ شيئا أبلغ عند الله من** : ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾ و ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾ » .

النهوض إلى الصلاة ، والرجوع إليها

وهاك مشهدا آخر يحكيه **عبدالله بن أبي حبيبة** وهو يُقرب إليك تلك المعرفة بتعلق رسول الله صلى الله عليه وسلم بالصلاة في سائر أوقاته ماعدا ماجاء النهي فيه عن الصلاة ، يحكي هذا الصحابي هذه البساطة في تعامله مع أصحابه والتبسط إليهم ، ثم النهوض والوثُوب إلى الصلاة ، وهم يرون هذه المشاهد الجليلة ثم يذكرونها **قال : جاءنا رسول الله في مسجدنا بقباء، فجئت وأنا غلام حدث حتى جلست عن يمينه، وجلس أبو بكر عن يساره ثم دعا بشراب، فشرب منه ، ثم أعطانيه ، و أنا عن يمينه ، فشربت منه ، ثم قام يصلي ، فرأيته يصلي في نعليه** ، وفي قصة أخرى نشاهد

الرجوع إلى الصلاة بعد أن وقع فيها سهو **ونلمس مشهد الاستعجال ، الذي رآه كل أهل المسجد** ، وذاك بسبب ذلك السهو الذي وقع في صلاته بالجماعة ، وخروجه وانصرافه إلى منزله وقد تبعه أحد الصحابة وأخبره بهذا النقص وقد كان على وجه السؤال « **أنسيت أم قصرت الصلاة** » يقول **عمران بن الحصين** وقد حضر هذا المشهد « **أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى العصر، فسلم في ثلاث ركعات، ثم دخل منزله، فقام إليه رجل يقال له الخرباق، وكان في يديه طول، فقال: يا رسول الله، فذكر له صنيعه، وخرج غضبان يجر رداءه، حتى انتهى إلى الناس، فقال: أصدق هذا قالوا: نعم، فصلى ركعة، ثم سلم، ثم سجد سجدتين، ثم سلم** » نعم كان الصلاة لها الشأن الأعظم ، فقد لاحظ الصحابة جر الرداء ولم يتمهل لتسويته أو أن يُتمّ لبسه على

الوجه الأكمل ، وهو مقبل على إتمام صلاته وسجود السهو بعدها.

❊❋❊❋❊❋

الصلاة مع التعب

الحاجة البشرية « **مِن النوم** »

حين تكون المحبة ثابتة ، وفيها ذوق خاص تنشط الروح ، ويكون الجسد تبعـًا لها ، ومن دلائل أهل الإيمان أنهم يقومون من وثير الفرش ، ولين الوسائد ، ليجدوا أنسا لأرواحهم ، وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم له المقام الأعلى في هذا الباب والأحاديث التي تصف هذا الأمر أكثر من أن تُحصىٰ فتارة يقع الوصف لحالة القيام تقول أم المؤمنين عائشة رضي الله عنهما « **لقد كان رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُومُ فَيُصَلِّي مِنَ اللَّيْلِ** » وأخرىٰ يرويها **حذيفة** رضي الله **عنه قال : صليت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات ليلة، فاستفتح بسورة البقرة، فقرأ**

بمائة آية لم يركع، فمضى، قلت : يختمها في الركعتين. فمضى، قلت : يختمها ثم يركع. فمضى حتى قرأ سورة النساء، ثم قرأ سورة آل عمران، ثم ركع نحوا من قيامه يقول في ركوعه : « **سبحان ربي العظيم، سبحان ربي العظيم، سبحان ربي العظيم** ». **ثم رفع رأسه** فقال : « **سمع الله لمن حمده، ربنا لك الحمد** ». وأطال القيام، ثم سجد فأطال السجود، يقول في **سجوده** : « **سبحان ربي الأعلى، سبحان ربي الأعلى، سبحان ربي الأعلى** ». **لا يمر بآية تخويف، أو تعظيم لله عز وجل إلا ذكره** » طال منه القيام ، وكثُر عنده السؤال ، وأخذ في صلاته أتم وقتٍ وأكمله صلى الله عليه وسلم .

الصلاة يوم القِلة

المشهد الأول :

في تلك الأيام الأولى ، والأرض موحشة ليس فيها أنيس ، إنما هي مظاهر الشرك بارزة ، وصناديد أهله يصولون ، وكعبة الله المُعظمة من حولها الأصنام ، يأتي النبي الكريم صلى الله عليه وسلم ليأخذ حظه من العبودية فيصلي ، ويطيل القيام والسجود ، وتختلف تلك الأوقات غير أنّ العيون المملوءة بالغضبِ من حوله ، وقد زادهم عُتوا رؤيته وحيدا عليه الصلاة والسلام ، فيرون أن من تمام مجلسهم ، وحسن أحاديثهم أن يُهان هذا الرجل ، بسببٍ يكون مُضحكـًا للقوم ، يقول الصحابي **عبدالله بن مسعود** رضي الله عنه والحديث في **البخاري** « **بَيْنَما رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ**

عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قائِمٌ يُصَلِّي عِنْدَ الكَعْبَةِ، وَجَمْعُ قُرَيْشٍ فِي مَجالِسِهِمْ، إِذْ قالَ قائِلٌ مِنْهُمْ: أَلا تَنْظُرُونَ إلى هَذا المُرائِي؟! أَيُّكُم يَقُومُ إلى جَزُورِ آلِ فُلانٍ، فَيَعْمِدُ إلى فَرْثِها وَدَمِها وَسَلاها، فَيَجِيءُ بِهِ، ثُمَّ يُمْهِلُهُ، حَتَّى إذا سَجَدَ، وَضَعَهُ بَيْنَ كَتِفَيْهِ؟ فانْبَعَثَ أَشْقاهُمْ، فَلَمَّا سَجَدَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَضَعَهُ بَيْنَ كَتِفَيْهِ، وَثَبَتَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ساجِدًا، فَضَحِكُوا حَتَّى مالَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ مِنَ الضَّحِكِ، فانْطَلَقَ مُنْطَلِقٌ إلى فاطِمَةَ ، وَهْيَ جُوَيْرِيَةٌ، فَأَقْبَلَتْ تَسْعَى، وَثَبَتَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ساجِدًا، حَتَّى أَلْقَتْهُ عَنْهُ، وَأَقْبَلَتْ عَلَيْهِمْ تَسُبُّهُمْ، فَلَمَّا قَضَى رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الصَّلاةَ، قالَ: «اللَّهُمَّ عَلَيْكَ بِقُرَيْشٍ، اللَّهُمَّ عَلَيْكَ بِقُرَيْشٍ، اللَّهُمَّ عَلَيْكَ بِقُرَيْشٍ ». ثُمَّ سَمَّى: « اللَّهُمَّ عَلَيْكَ بِعَمْرِو بْنِ هِشامٍ، وَعُتْبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ، وَشَيْبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ، والْوَلِيدِ

بْنِ عُتْبَةَ، وَأُمَيَّةَ بْنِ خَلَفٍ، وَعُقْبَةَ بْنِ أَبِي مُعَيْطٍ، وَعُمارَةَ بْنِ الوَلِيدِ ». قالَ عَبْدُ اللهِ: فَواللهِ، لقد رَأَيْتُهُمْ صَرْعَى يَوْمَ بَدْرٍ، ثُمَّ سُحِبُوا إلى القَلِيبِ، قَلِيبِ بَدْرٍ، ثُمَّ قالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « وَأُتْبِعَ أَصْحابُ القَلِيبِ لَعْنَةً ».

آذوه في عبادته ، وأحزنوه في سجوده ، واستداروا ضحكا وقد بلغوا في العتوّ مبلغـًا عظيمـًا ، وكأن سوابق إجرامهم قد ترادف ، وصاروا له أعداءً ، فاستحقوا تلك الدعوات .

قال ابن بطال رحمه الله « وفيهِ: الدُّعاء على أهل الكفر إذا جَنَوْا جنايات وآذوا المؤمنين. »

المشهد الثاني :

وفي ذلك اليوم الذي كان أشدّ على قلبه ، وأكثر تعبا من غيره كما جاء من حديث **عائشة رضي الله عنهما** « **هل مر عليك يوم أشد من يوم أحد ؟ قال: نعم** »

في ذلك اليوم بتمامه ، وكماله وتعبه الشديد ، حين كان السفر الشاق ، وكانت المعاملة الغليظة ، وكان الردُّ القاسي ، وكان الأذىٰ الجائر ؛ خرج لوحده مهموماً على وجهه حتى حان وقت الصلاة ؛ فتوقف عليه الصلاة والسلام أُنسا وفرحا بها ، وحصل له من الفتح العظيم ماقد حصل ؛ فقد جاء في **سيرة ابن هشام** في معرض ذكر خروجه عليه الصلاة والسلام إلى **الطائف** « ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم انصرف من الطائف راجعاً إلى مكة حين يئس من

خير ثقيف، حتى إذا كان بنخلة » وهي الوادي الذي يراه القادم اليوم من الطائف إلى مكة « قام من جوف الليل يصلي، فمر به النفر من الجن الذين ذكرهم الله تبارك وتعالى، وهم- فيما ذكر لي- سبعة نفر من جن أهل نصيبين ، فاستمعوا له، فلما فرغ من صلاته ولوا إلى قومهم منذرين، قد آمنوا وأجابوا إلى ما سمعوا. فقص الله خبرهم عليه صلى الله عليه وسلم، قال الله عزوجل: ﴿ وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ ﴾ ..إلى قوله تعالى ﴿ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ ، وقال تبارك وتعالى: ﴿ قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ..﴾»

❋❋❋❋❋❋

الاستغاثة قبل الصلاة

حِين تكون الصلاة نوراً للعبد يستضيء بنورها ؛ ليرى حقائق الأمور ، ويُميز المشتبهات ، ويريد أن يتقي مواطن الاختلاف بإصابة الحق ، والخروج الآمن من كل أمرٍ فيه حَيرة أو تردد ، يكون للدعاء طعم آخر خصوصـًا إذا وافق وقت إجابة ، وكان في موطن من أعظم مواطن التعبد وهي الصلاة ، تلك الصلاة العظيمة الجليلة التي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول فيها دعاءً عظيمـًا يعرفه أهل العلم والأثر ، ويدعون به ولاينسونه ، جاء في صحيح مسلم من حديث عائشة **رضي الله عنها** قالت: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا **قام يصلي من الليل** قال: «**اللهم رب جبرائيل وميكائيل وإسرافيل فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه**

يختلفون؛ اهدني لما اختلف فيه من الحق بإذنك؛ إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم» وفي رواية لأبي داود:

« أنه كان يكبر في صلاته ثم يقول ذلك»

❊❊❊❊❊

الصلاة مع الشدة والمرض

في ليلة **بدر** ، ومع كثرة الاستغاثة والدعاء وطلب تحقيق النصر ، ومع مارآه رسول الله صلى الله عليه وسلم من تلك البشائر العاجلة في هلاك عدوه ، بات الصحابة رضي الله عنهم ، ومكث رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي في تلك الليلة قال علي رضي الله عنه كما في مسند **الإمام أحمد** « **قال: لقد رأيتنا يوم بدر، وما منا إلا نائم إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم -، فإنه كان يصلي إلى شجرة ويدعو حتى أصبح** » بات يصلي ، ويدعو ربه في استغاثة ومناجاة ، وهو المشهد المألوف الذي لايغيب عنه ولا يتأخر عليه الصلاة والسلام.

وقد كانت الصلاة حاضرة في كل أوقاته عليه الصلاة والسلام لا يترك التزود منها ما استطاع ، حتى وإن كان

الأمر فيه شدة حصار ، وحضور عدو ، وهجوم جوع وبرد ، ويتجدد هذا المشهد بقوةٍ في غزوة الخندق حين طال الحصار، واشتد الجوع ، قال حذيفة رضي الله عنه« بعد أن سأله فتى من أهل الكوفة : يا أبا عبد الله، رأيتم رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحبتموه؟ قال: نعم يا ابن أخي، قال: فكيف كنتم تصنعون؟ قال: والله لقد كنا نجهد، قال: والله لو أدركناه ما تركناه يمشي على الأرض، و لجعلناه على أعناقنا، قال: فقال حذيفة: يا ابن أخي، والله لقد رأيتنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بالخندق، وصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من الليل هويا، ثم التفت إلينا فقال: من رجل يقوم فينظر لنا ما فعل القوم -يشرط له رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه يرجع- أدخله الله الجنة، فما قام رجل، ثم صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم هويا

من الليل، ثم التفت إلينا، فقال: من رجل يقوم فينظر لنا ما فعل القوم، ثم يرجع -يشرط له رسول الله صلى الله عليه وسلم الرجعة- أسأل الله أن يكون رفيقي في الجنة، فما قام رجل من القوم مع شدة الخوف، وشدة الجوع، وشدة البرد، فلما لم يقم أحد دعاني رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلم يكن لي بد من القيام حين دعاني، فقال: يا حذيفة، فاذهب فادخل في القوم فانظر ما يفعلون، ولا تحدثن شيئا حتى تأتينا، قال: فذهبت فدخلت في القوم، والريح وجنود الله تفعل ما تفعل لا تقر لهم قدرا، ولا نارا، ولا بناء، فقام أبو سفيان بن حرب، فقال: يا معشر قريش، لينظر امرؤ من جليسه، فقال حذيفة: فأخذت بيد الرجل الذي إلى جنبي، فقلت: من أنت؟ قال: أنا فلان بن فلان، ثم قال أبو سفيان: يا معشر قريش، إنكم والله ما أصبحتم

بدار مقام ؛ لقد هلك الكراع، وأخلفتنا بنو قريظة، وبلغنا عنهم الذي نكره، ولقينا من هذه الريح ما ترون، والله ما تطمئن لنا قدر، ولا تقوم لنا نار، ولا يستمسك لنا بناء، فارتحلوا فإني مرتحل، ثم قام إلى جمله وهو معقول فجلس عليه، ثم ضربه فوثب على ثلاث، فما أطلق عقاله إلا وهو قائم، ولولا عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم: لا تحدث شيئا حتى تأتيني ، ثم شئت ؛ لقتلته بسهم. قال حذيفة:

ثم رجعت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو قائم يصلي في مرط لبعض نسائه مرحل، فلما رآني أدخلني إلى رحله، وطرح علي طرف المرط، ثم ركع وسجد وإنه لفيه،

فلما سلم أخبرته الخبر. وسمعت غطفان بما فعلت قريش، فانشمروا إلى بلادهم. »

انتهت ساعة الطلب ، وحين رجع وجد رسول الله قائم ويصلي ، ألا إن في هذا المشهد الجميل لعبرة لمن أطال النظر ووقع في قلبه نور الهداية .

وحِين يرتفع العبد لمقام العبودية ، وينشد حُسن القرب من خالقه ، ويطمح للقيام بالشكر ، فلن يجد أعظم من مناجاة ربه ودعائه وسؤاله في الصلاة ، هذا على كل الأحوال ؛ حتى وإن وقع عارضٌ ، أو ترآىٰ مانع مِن مرض أو سفر ، جاء في **سنن أبي داود** من حديث **جابر** **رضي الله عنهما** وذكر فيه **قصة سقوط النبي صلى الله عليه وسلم مِن على فرسه** وتأثره عليه الصلاة والسلام بشيء منعه من القيام ، ومع هذا العارض **فزع عليه الصلاة والسلام للصلاة** قال

جابر « ركبَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ فَرَسًا بالمدينةِ فصَرَعَهُ على جذمِ نخلةٍ، فانفكَّت قَدَمُهُ، فأتيناهُ نَعُودُهُ، فوَجَدناهُ في مَشرُبَةٍ لعائشةَ يُسبِّحُ جالسًا » وفي روايات الحديث المختلفة قال الصحابة « فوجدناه يُصلي » وفي تمام الحديث فصلينا بصلاته وقوفا وهو جالس ، قد شاهدوا هذا المنظر (جالسٌ) يُصلي بعد أن أُصيبت قدمه أوساقه وعجز عن القيام وجدوه يتزود من صلاته ويأخذ بأعظم ما تقر به عينه .

❋❋❋❋❋

الصلاة ووقتها

ووقت الصلاة لها شأنٌ عظيم عنده ، ومراعاة أدائها في وقتها هو ما يحرص عليه ، والوثوب إليها وترك الشواغل مهما تنوعت هو المقصد ، فقد تتابع عمل الدفاع عن المدينة حِين حاصرها كفار مكة **يوم الأحزاب** حتى نسي الصحابة وقت الصلاة فجاء أحدهم إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره بذلك فما كان منه إلا أن أتى بالصلاة على تمامها وقال كلمة فيها الدعاء على كل جبار أتى ليقاتل أهل الإسلام ، قال **علي رضي الله عنه** « **شغلونا يوم الأحزاب عن صلاة العصر، حتى سمعت رسول الله صلى الله عليه**

وسلم يقول: شغلونا عن صلاة الوسطى صلاة العصر، ملأ الله قبورهم، وبيوتهم، وأجوافهم نارا »

ويوما كان الصحابة **رضي الله عنهم** في سفر فذهب عليه الصلاة والسلام لوضوئه غير أنه تأخر على القوم ، ورأوا أنّ وقت الصلاة قد حان ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم قد تأخر ، فما كان من القوم إلا أن قدموا أحدهم لِيؤمّهم ؛ ثم جاء الحكم منه عليه الصلاة والسلام أن قضىٰ بتأييد ماصنعوا خوفـًا على وقت الصلاة ، ومراعاة له يقول **المغيرة بن شعبة** : « **تخلفت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك، فتبرز رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم رجع إلي ومعي الإداوة ، قال : فصببتُ على يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم استنثر – قال يعقوب : ثم تمضمض – ثم غسل وجهه ثلاث مرات، ثم أراد أن يغسل**

يديه قبل أن يخرجهما من كمي جبته، فضاق عنه كماها، فأخرج يده من الجبة، فغسل يده اليمنى ثلاث مرات، ويده اليسرى ثلاث مرات، ومسح بخفيه ولم ينزعهما، ثم عمد إلى الناس، فوجدهم قد قدموا عبد الرحمن بن عوف يصلي بهم، فأدرك رسول الله صلى الله عليه وسلم إحدى الركعتين، فصلى مع الناس الركعة الآخرة بصلاةِ عبد الرحمن، فلما سلم عبد الرحمن قام رسول الله صلى الله عليه وسلم يتم صلاته فأفزع المسلمين، فأكثروا التسبيح، فلما قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاته أقبل عليهم، فقال : « قد أحسنتم وأصبتم ». يغبطهم أن صلوا الصلاة لوقتها. وفي سفرةٍ أخرى كما عند مُسلم رحمه الله بادر رسول الله صلى الله عليه وسلم لأداءِ الفائتة ، وأتى بها بتمامها ، وكأن مِن حِكم التشريع العظيم أن يعرف

المهتدون بهديه الشريف كيف يصنعون حين تفوتهم الصلاة وليعلموا أنّ أمر الصلاة عظيم لا يُقدم عليه شيء حتىٰ يُؤدىٰ حيث بادر صلى الله عليه وسلم في قضاء الفائتة ولم يقُم بأي عمل قبل أن يقضيها ؛ يقول الصحابي **أبو قتادة** **« خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « إنكم تسيرون عشيتكم وليلتكم، وتأتون الماء إن شاء الله غدا »، فانطلق الناس لا يلوي أحد على أحد.** قال **أبو قتادة** **: فبينما رسول الله صلى الله عليه وسلم يسير حتى ابهار الليل وأنا إلى جنبه. قال : فنعس رسول الله صلى الله عليه وسلم، فمال عن راحلته، فأتيته فدعمته من غير أن أوقظه حتى اعتدل على راحلته. قال : ثم سار حتى تهور الليل مال عن راحلته. قال : فدعمته من غير أن أوقظه حتى اعتدل على راحلته. قال : ثم سار حتى إذا كان من آخر السحر مال ميلة**

هي أشد من الميلتين الأوليين حتى كاد ينجفل ، فأتيته فدعمته، فرفع رأسه فقال : « من هذا ؟ ». قلت : أبو قتادة. قال : « متى كان هذا مسيرك مني ؟ ». قلت : ما زال هذا مسيري منذ الليلة. قال : « حفظك الله بما حفظت به نبيه ». ثم قال : « هل ترانا نخفى على الناس ؟ ». ثم قال : « هل ترى من أحد ؟ ». قلت : هذا راكب. ثم قلت : هذا راكب آخر، حتى اجتمعنا فكنا سبعة ركب. قال : فمال رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الطريق فوضع رأسه، ثم قال : « احفظوا علينا صلاتنا ». فكان أول من استيقظ رسول الله صلى الله عليه وسلم والشمس في ظهره. قال : فقمنا فزعين. ثم قال : « اركبوا » فركبنا فسرنا، حتى إذا ارتفعت الشمس نزل، ثم دعا بميضأة كانت معي فيها شيء من ماء. قال : فتوضأ منها وضوءا دون وضوء. قال : وبقي فيها شيء

من ماء. ثم قال لأبي قتادة : « احفظ علينا ميضأتك فسيكون لها نبأ »، ثم أذن بلال بالصلاة، فصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ركعتين، ثم صلى الغداة، فصنع كما كان يصنع كل يوم. قال : وركب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وركبنا معه. قال : فجعل بعضنا يهمس إلى بعض: ما كفارة ما صنعنا بتفريطنا في صلاتنا ؟ ثم قال: « أما لكم في أسوة ؟ ». ثم قال : « أما إنه ليس في النوم تفريط، إنما التفريط على من لم يصل الصلاة حتى يجيء وقت الصلاة الأخرى، فمن فعل ذلك فليصلها حين ينتبه لها، فإذا كان الغد فليصلها عند وقتها ». ثم قال : « ما ترون الناس صنعوا ؟ ». قال : ثم قال : « أصبح الناس فقدوا نبيهم، فقال أبو بكر وعمر : رسول الله صلى الله عليه وسلم بعدكم لم يكن ليخلفكم. وقال الناس : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم

بين أيديكم. فإن يطيعوا أبا بكر وعمر يرشدوا ». قال :
فانتهينا إلى الناس حين امتد النهار، وحمي كل شيء، وهم
يقولون : يا رسول الله، هلكنا، عطشنا. فقال: « لا هلك
عليكم ». ثم قال : « أطلقوا لي غمري ». قال : ودعا
بالميضأة، فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يصب
وأبو قتادة يسقيهم، فلم يعد أن رأى الناس ماء في الميضأة
تكابوا عليها، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «
أحسنوا الملأ ، كلكم سيروى ». قال : ففعلوا، فجعل
رسول الله صلى الله عليه وسلم يصب وأسقيهم حتى ما بقي
غيري وغير رسول الله صلى الله عليه وسلم. قال : ثم صب
رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال لي : « اشرب ».
فقلت : لا أشرب حتى تشرب يا رسول الله. قال : « إن
ساقي القوم آخرهم شربا ». قال : فشربت، وشرب رسول

الله صلى الله عليه وسلم. قال : فأتى الناس الماء جامين رواء . قال : فقال عبد الله بن رباح : إني لأحدث هذا الحديث في مسجد الجامع إذ قال عمران بن حصين : انظر أيها الفتى كيف تحدث، فإني أحد الركب تلك الليلة. قال : قلت : فأنت أعلم بالحديث. فقال : ممن أنت ؟ قلت : من الأنصار. قال : حدث، فأنتم أعلم بحديثكم. قال : فحدثت القوم، فقال عمران : لقد شهدت تلك الليلة، وما شعرت أن أحدا حفظه كما حفظته.

❋❋❋❋❋

الصلاة والفزع إليها، والمنة الأولىٰ

لو عرف المسلم حقيقة الصلاة ، وشِدة الحاجة إليها ، وعظيم الافتقار للتزودِ منها ، لما توقف يوما من كثرةِ سؤال الله أن يُعطيه هذا الحبل الممدود حتى يخرج مِن كل ضائقة بأمر الله ، فقد كان من هديه عليه الصلاة والسلام أن يفزع إلى الصلاة حين تشتد عليه الأمور، جاء عند **أبي داود** **رحمه الله** عن **حذيفة** **رضي الله عنه** قال:« **كان رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ علَيهِ وسلَّمَ إذا حزَبه أمرٌ صلَّى** » هكذا بهذا الوصف الجميل « **صلّى** » **فأين أصحاب الحاجات عن استفتاح أبواب التوفيق ، وطلب التيسير من هذا الباب العظيم باب الصلاة ، وسؤال الله ودعائه في سجودها وقبل التسليم منها** ، وهاهو صلىٰ الله عليه وسلم يُصلي في الليلِ

ثم يلتفت إلىٰ نسائه رغبة منه في أن يأخذن نصيبهنّ من الصلاة وقد ذكر نزول الفتن ثم أرشد عليه الصلاة والسلام إلى الصلاة ليُرشدهم أنها الملاذ الآمن ؛ الذي يفزع إليه مَنْ يريد النجاة ، جاء في **البخاري رحمه الله** عن **أم سلمة رضي الله عنها** قالت : استيقظ النبي صلى الله عليه وسلم فقال : « **سبحان الله، ماذا أنزل من الخزائن ؟ وماذا أنزل من الفتن ؟ من يوقظ صواحب الحجر – يريد به أزواجه – حتى يصلين ؟ رب كاسية في الدنيا عارية في الآخرة** » وفي رواية **أخرى** جاءت في **موطأ الإمام مالك** وهي مرسلة جاء الأمر الصريح بالإيقاظ « **ماذا فتح الليلة من الخزائن ؟ وماذا وقع من الفتن ؟ كم من كاسية في الدنيا عارية يوم القيامة، أيقظوا صواحب الحجر**» ولا ينس المؤمن نسبة المِنّة لله عز وجل الذي مَنّ عليه بهذه المعرفة الجليلة التي يصعد بها عملُهُ ،

ويُرفع معها دُعاؤه ، وتطيب بأدائها أيامه ولياليه ، كان الصحابة **رضي الله عنهم** ينظرون في رسول الله صلى الله عليه وسلم **يوم الخندق** وهو يشارك أصحابه العمل الدؤوب في حفر الخندق ، وقد ثار الغبار من كل جانب حتى غطى شعر صدر رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ يصف لنا **البراء** هذا المشهد الذي تخلله إعلان الفقر إلى الله وأن مِنة الله هي السابقة التي عُرف بعدها أمر الطاعات ومنها هذه الصلاة يقول **البراء** «**رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يوم الخندق وهو ينقل التراب، حتى وارى التراب شعر صدره، وكان رَجِلاً كثير الشعر، وهو يرتجز برجز عبد الله : اللهم لولا أنت ما اهتدينا ولا تصدقنا ولا صلينا، فأنزلن سكينة علينا وثبت الأقدام إن لاقينا ، إن الأعداء قد بغوا علينا إذا أرادوا فتنة أبينا** ». يرفع بها صوته.

الصلاة في الحجرة الخاصة

وحين يكون في ستر من الناس ، وتحين ساعة التهجد، وطول القيام ، كان خلقه الكريم أن ينطلق في صلاته وتهجده ، دون أن يُكدر على أحد، أو أن يلزم أحدا من أهل بيته بهذا القنوت الطويل ، بل يجعل الأمر في غاية اليُسر ، وإنما إذا ضاق الوقت ، وأقبل الفجر أيقظ للوتر قبل أن يطلع الفجر كما هو معلومٌ مِن سنته تقول **عائشة رضي الله عنهما** « **لقد رأيتني ورسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي وأنا مضطجعة بينه وبين القبلة فإذا أراد أن يسجد غمز رجلي فقبضتهما** » وفي **رواية** أخرى « **كان النبي صلى الله عليه**

وسلم يصلي، وأنا راقدة معترضة على فراشه، فإذا أراد أن يوتر أيقظني فأوترت »

وإن مِن أعجب الأمور ، أن يكون قيامه لصلاته عليه الصلاة والسلام في سكينةٍ وهدوءٍ حيث لايشعر به مَن حوله ، ولا سبيل لمعرفة مكان وجوده إلا أن تتلمس مكان وجوده أم المؤمنين عائشة رضي الله عنهما ثم تجده في صلاته وقنوته ودعائه ، لتصف للأمة هذا المشهد الخاص من حجرته الخاصة جاء في صحيح مسلم رحمه الله « قالت عائشةُ زَوجُ النَّبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : فقدتُ رسولَ الله صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ وَكانَ معي علَى فراشي فوجدتُه ساجدًا راصًّا عقِبَيهِ مُستقبِلًا بأطرافِ أصابعِه القِبلَةَ فسمِعتُه يقولُ : أعوذُ برِضاكَ مِن سخطِك وبعفْوِك مِن عقوبتِك وبِكَ مِنكَ أُثني علَيكَ لا أبلغُ كلَّ ما فيكَ قالت : فلمَّا انصرفَ قال : يا عائشةُ أخذَكِ

شَيطانُكِ فقلتُ : أما لَك شَيطانٌ ؟ قال : ما مِن آدميٍّ إلَّا لَه شيطانٌ ، فقلتُ : يا رسولَ اللهِ وأنتَ ؟ قال : وأنا ولَكنِّي دعَوتُ اللهَ فَأعانَني علَيهِ فأسلَمَ » .

❊❋❊❋❊❋

الصلاة ودعوته لمن حوله ليزدادوا من نوافلها

وهذا تحريضه لأزواجه كي يصبن حظهن من الصلاة حتى يدخلوا في هذا الأمان ، وقد مر بنا الحديث الذي روته أم سلمة **رضي الله تعالى عنها** وهو في الصحيح بألفاظ متقاربة وفي بعضها الحض على صلاة الليل قالت أم سلمة **رضي الله عنها** : استيقظ النبي صلى الله عليه وسلم فقال :

«سبحان الله، ماذا أنزل من الخزائن ؟ وماذا أنزل من الفتن ؟ من يوقظ صواحب الحجر – يريد به أزواجه – حتى يصلين ؟ رب كاسية في الدنيا عارية في الآخر »

ومحبته لفاطمة وعلي **رضي الله عنهما** كانت بوضوح وهو يناديهما في هزيع الليل بعد أن أيقظهما مرغبا لهما في التزود

من الصلاة ، وحاضـاً لهما لكسب الفضل المُتحقق الذي لاخسارة معه لمن تزود منها حتى لو كدر عليهما صفو نومهما في الظاهر لينالا كرامة الله لأهلها ، جاء في البخاري أن عليا رضي الله عنه قال« **أن رسول الله صلى الله عليه وسلم طرقه وفاطمة بنت النبي عليه السلام ليلة فقال : « ألا تصليان ؟ » فقلت : يا رسول الله، أنفسنا بيد الله فإذا شاء أن يبعثنا بعثنا. فانصرف حين قلنا ذلك ولم يرجع إلي شيئا، ثم سمعته وهو مول يضرب فخذه وهو يقول : « ﴿ وَكَانَ الْإِنسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا ﴾ »** ، وأما عبدالله بن عمر رضي **الله عنهما** فقد كان تدينه ظاهراً ، وشدة متابعته للنبي صلى الله عليه وسلم على صغِر سنِّه ومع ذلك حِين جاءت رؤياه وقصتها على النبي صلى الله عليه وسلم أُخته حفصة أم المؤمنين زوج رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن من

وصيةٍ أعظم ، ولا أجلّ ، ولا أكبر ، من دعوته ليتزود من الصلاة خصوصا صلاة الليل قال **عبدالله بن عمر رضي الله عنهما** : رأيت على عهد النبي صلى الله عليه وسلم كأن بيدي قطعة إستبرق، فكأني لا أريد مكانا من الجنة إلا طارت إليه، ورأيت كأن اثنين أتياني أرادا أن يذهبا بي إلى النار، فتلقاهما ملك، فقال : لم ترع خليا عنه فقصت **حفصة** على النبي صلى الله عليه وسلم إحدى رؤياي، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « **نعم الرجل عبد الله لو كان يصلي من الليل** ». فكان **عبد الله رضي الله عنه** يصلي من الليل.

والحديث في **البخاري** ، و**ربيعة الأسلمي** الذي كان يخدمه ويبيت مِن حوله ليتلقف أي حاجة لرسول الله صلى الله عليه وسلم فيقضيها ، حِين سأله **رضي الله عنه** عن أعظم الغنائم وهي المرافقة في الجنة دلّه صلى الله عليه وسلم على

أيسر سبيل وأكرمه ، وماذاك إلا لجليل شأن الصلاة ومافيها من أعمال يحبها الله تعالى ومنها السجود جاء في مسلم عن ربيعة بن كعب الأسلمي قال : **كنت أبيت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأتيته بوضوئه وحاجته، فقال لي : « سل ». فقلت : أسألك مرافقتك في الجنة. قال : « أوغير ذلك ؟ » قلت : هو ذاك. قال : « فأعني على نفسك بكثرة السجود»**

❊❋❊❋❊❋

الصلاة حِين نزول الآيات

وحين تكون الآيات الكونية ، ويتبدل نظام الكون بخسوف قمر ، أو كسوف شمس ، يكون فزعه الشديد إلى الصلاة ، يقول أبوموسى الأشعري كما في البخاري « فقام فزعا يخشى أن تكون الساعة » وفي حديث أبي بكرة « يجرّ رداءه حتى بلغ المسجد » وفي بعض الأحاديث بلغ به الاشتغال بشأن الصلاة أنه ترك رداءه الذي يخصه وأخذ بعض ألبسة نسائه صلى الله عليه وسلم حتى لحقوا به وأعطوه مايخصه ، تقول أسماء رضي الله عنها « ففزع فأخطأ بدرعٍ حتى أُدرك بردائه بعد ذلك »

هكذا جاء في الصحيح ، أما صلاته وطولها وتنوعها كما شرع الله تعالى له ؛ ففيها طول القنوت، وكثرة التذكير ،

والوعظ ، والتعليق بالله عز وجل ، وكان ممن شاهد هذه الصلاة أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما وقد دخلت فزعة على أختها عائشة والناس يصلون خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم تقول رضي الله عنها « – انكسفت الشمس في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم مات إبراهيم ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال الناس: إنما انكسفت لموت إبراهيم، فقام النبي صلى الله عليه وسلم، فصلى بالناس ست ركعات بأربع سجدات؛ بدأ فكبر، ثم قرأ، فأطال القراءة، ثم ركع نحوا مما قام، ثم رفع رأسه من الركوع، فقرأ قراءة دون القراءة الأولى، ثم ركع نحوا مما قام، ثم رفع رأسه من الركوع، فقرأ قراءة دون القراءة الثانية، ثم ركع نحوا مما قام، ثم رفع رأسه من الركوع، ثم انحدر بالسجود فسجد سجدتين، ثم قام فركع

أيضا ثلاث ركعات، ليس فيها ركعة إلا التي قبلها أطول من التي بعدها، وركوعه نحوا من سجوده، ثم تأخر، وتأخرت الصفوف خلفه، حتى انتهينا » -وفي رواية:« حتى انتهى إلى النساء- ثم تقدم وتقدم الناس معه، حتى قام في مقامه، فانصرف حين انصرف وقد آضت الشمس، فقال: يا أيها الناس، إنما الشمس والقمر آيتان من آيات الله، وإنهما لا ينكسفان لموت أحد من الناس » -وفي رواية:« لموت بشر- فإذا رأيتم شيئا من ذلك فصلوا حتى تنجلي، ما من شيء توعدونه إلا قد رأيته في صلاتي هذه؛ لقد جيء بالنار، وذلكم حين رأيتموني تأخرت؛ مخافة أن يصيبني من لفحها، وحتى رأيت فيها صاحب المحجن يجر قصبه في النار، كان يسرق الحاج بمحجنه، فإن فطن له قال: إنما تعلق بمحجني، وإن غفل عنه ذهب به، وحتى رأيت فيها

صاحبة الهرة التي ربطتها فلم تطعمها، ولم تدعها تأكل من خشاش الأرض، حتى ماتت جوعا، ثم جيء بالجنة، وذلكم حين رأيتموني تقدمت حتى قمت في مقامي، ولقد مددت يدي وأنا أريد أن أتناول من ثمرها لتنظروا إليه، ثم بدا لي أن لا أفعل، فما من شيء توعدونه إلا قد رأيته في صلاتي هذه » والحديث عند مسلم في الصحيح

❊❋❊❋❊❋

الصلاة في السفر والقدوم منه

وفي السفر ، وعند الخروج من المدينة في جهادٍ ، أو في حج ، أو عمرة ؛ لم يكن أمر الاستكثار من الصلاة ، وإدامة التزود منها بغائبٍ عنه عليه الصلاة والسلام ، فقد كان الصحابة يروحون ويرجعون ثم يلقونه عليه الصلاة والسلام في صلاةٍ وطول قنوت ودعاء ، هذا جابر **رضي الله عنه** يصف مشهدا رآه ، وقد كان خارجًا معه عليه الصلاة والسلام في غزوة بواط وهي **من أوائل غزاوته** عليه الصلاة والسلام وبواط من جبال جهينه غرب المدينة وقد حدده بعض أهل العلم ب١٠٠ كيلو تقريبًا عن المدينة من جهة الغرب يقول

جابر« خَرَجْتُ مع النبيِّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ في بَعْضِ أَسْفَارِهِ، فَجِئْتُ لَيْلَةً لِبَعْضِ أَمْرِي، فَوَجَدْتُهُ يُصَلِّي، وعَلَيَّ ثَوْبٌ واحِدٌ، فَاشْتَمَلْتُ به وصَلَّيْتُ إلى جَانِبِهِ، فَلَمَّا انْصَرَفَ قَالَ: ما السُّرَى يا جَابِرُ فأَخْبَرْتُهُ بحَاجَتِي، فَلَمَّا فَرَغْتُ قَالَ: ما هذا الِاشْتِمَالُ الذي رَأَيْتُ، قُلتُ: كانَ ثَوْبٌ - يَعْنِي ضَاقَ - قَالَ: فإنْ كانَ واسِعًا فَالْتَحِفْ به، وإنْ كانَ ضَيِّقًا فَاتَّزِرْ بهِ».

وفي سفرة أخرى وهي غزوة بني المصطلق وهي جهة الجنوب من المدينة وتبعد حوالي ٣٠٠ كيلو جهة وادي قديد يروي لنا جابرا رضي الله عنه مشهدا آخر رأى فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي على بعيره إلى غير القبلة ، ولم يشغله عن الاستكثار ، والتزود من صلاته أنه

على سفر ، وأنه قد كان في غزو ، وكان قد أرسل جابراً في حاجة خاصة ، وحين قدم على النبي صلى الله عليه وسلم رآه على حالة ظن أنه يستطيع أن يتحدث معه فيها؛ حيث كان على البعير فسلم على رسول الله صلى الله عليه وسلم لكن رسول الله لم يرد عليه السلام يقول جابر « **أَرْسَلَنِي رَسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ وهو مُنْطَلِقٌ إلى بَنِي المُصْطَلِقِ، فأتَيْتُهُ وهو يُصَلِّي علَى بَعِيرِهِ فَكَلَّمْتُهُ، فَقالَ لي بيَدِهِ هَكَذَا، وأَوْمَأَ زُهَيْرٌ بيَدِهِ، ثُمَّ كَلَّمْتُهُ فَقالَ لي هَكَذَا، فأوْمَأَ زُهَيْرٌ أيضًا بيَدِهِ نَحْوَ الأرْضِ، وأَنَا أسْمَعُهُ يَقْرَأُ، يُومِئُ برَأْسِهِ، فَلَمَّا فَرَغَ قالَ: ما فَعَلْتَ في الذي أرْسَلْتُكَ له؟ فإنَّه لَمْ يَمْنَعْنِي أنْ أُكَلِّمَكَ إلَّا أنِّي كُنْتُ أُصَلِّي.**

قالَ زُهَيْرٌ: وأَبُو الزُّبَيْرِ جَالِسٌ مُسْتَقْبِلَ الكَعْبَةِ، فَقالَ: بيَدِهِ أبو الزُّبَيْرِ إلى بَنِي المُصْطَلِقِ فَقالَ: بيَدِهِ إلى غيرِ الكَعْبَةِ »

، نعم كان نبي الله يصلي ولم يُرد أن يقطع صلاته ولم يكن يشعر جابر بذلك ، ومن المعلوم أن النافلة يصح صلاتها على الدابة في السفر ولا يشترط لها القبلة.

ويوم خيبر حين كان التوجه لفتحها مع عموم الأصحاب رضي الله عنهم وخيبر بلدة تقع شمال المدينة على طريق الشام، تبعد عن المدينة 264ك قد ركب فيها عليه الصلاة والسلام حماره ، ثم يراه الصحابي يُصلي على الحمار ، وقد آنس طعم هذا الاستكثار ، ورأى عليه الصلاة والسلام فيه جلال التعبد ، وإقامة عمود الشكر بهذه الركعات فعن أنس « أنه رأى رسول الله ، يصلي على حمار ، وهو راكب

إلى خيبر ، والقبلة خلفه» وأما في القدوم من سفره ، فلن يكون قبل المسجد والصلاة فيه شيء ؛ فهي سُنته التي كان يواظب عليها فعن كعب بن مالك « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان لا يقدم من سفر إلا نهارا في الضحى، فإذا قدم بدأ بالمسجد، فصلى فيه ركعتين، ثم جلس فيه» هي صلاة لايسبقها شيء مما يحرص عليه القادم من السفر .

❊❊❊❊❊❊

الصلاة حِين الأفراح ، وتجدد النعم

وفي كل الأوقات من أطراف النهار وآناء الليل تكون الصلاة حاضرة في حياته عليه الصلاة والسلام ، حتى وإن كان الموقف موقف فتح ونصر ، ومعالجة لأمور طارئة فيها طلب أمان ، وإهدار دماء، ومخاصمة حَلَّ وقت أحكامها ، وقد جاء هذا في صورة تامة **في السنة الثامنة من الهجرة** حين كان **فتح مكة** **شرفها الله** ، فقد وصفت **أم هاني بنت أبي طالب** أخت **علي** **رضي الله عنها وعن أخيها** مشهدا آخر وهي تبحث عن رسول الله لطلب الأمان لشخص خشيت عليه أن يُهدر دمه ثم تجد رسول الله مشتغلاً بالغسل والطهارة ثم الصلاة وطول القنوت ،وكثرة الركعات ، قالت

« ذَهَبْتُ إلى رَسولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ عَامَ الفَتْحِ، فَوَجَدْتُهُ يَغْتَسِلُ وفَاطِمَةُ ابْنَتُهُ تَسْتُرُهُ، قالَتْ: فَسَلَّمْتُ عليه، فَقالَ: مَن هذِه، فَقُلتُ: أنَا أُمُّ هَانِئٍ بنْتُ أبِي طَالِبٍ فَقالَ: مَرْحَبًا بأُمِّ هَانِئٍ، فَلَمَّا فَرَغَ مِن غُسْلِهِ، قَامَ فَصَلَّى ثَمَانِيَ رَكَعَاتٍ مُلْتَحِفًا في ثَوْبٍ واحِدٍ، فَلَمَّا انْصَرَفَ، قُلتُ: يا رَسولَ اللهِ، زَعَمَ ابنُ أُمِّي أنَّه قَاتِلٌ رَجُلًا قدْ أجَرْتُهُ، فُلَانَ ابْنَ هُبَيْرَةَ، فَقالَ رَسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: قدْ أجَرْنَا مَن أجَرْتِ يا أُمَّ هَانِئٍ قالَتْ أُمُّ هَانِئٍ: وذَاكَ ضُحًى»

❊❋❊❋❊❋

الصلاة عند الناس

وهذه الصلاة التي لايصبر عنها ، وقد أصبحت قرة عينه ، فهي أُنسُهُ ، وفرحه ، ولا ينفك عنها حتى وإن دخل بيت أحد قد كان دعاه إلى طعامٍ أو شراب ، يجعل عليه الصلاة والسلام من هذه الدعوة سبباً لدخول البركة في بيت الداعي بصلاته في زاوية من البيت والدعاء لهم يقول **أنس رضي الله عنه**

« أن جدته مليكة دعت رسول الله صلى الله عليه وسلم لطعام صنعته فأكل منه ثم قال: قوموا فلأصل لكم قال أنس: فقمت إلى حصير لنا قد اسود من طول ما لبس فنضحته بماء فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فصففت أنا واليتيم من ورائه والعجوز من ورائنا فصلى لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ركعتين ثم انصرف » نعم صلى

ركعتين ولا تسأل عن تلك الفرحة التي عمّت هذا البيت المبارك بتلك الصلاة ، وذلك القنوت ، وفي مشهد آخر ، وعند زيارة أُخرى لبيتٍ آخر يقول أنس رضي الله عنه أيضا « قال رجل من الأنصار: يا رسول الله إني رجلٌ ضخمٌ – وكان ضخماً – لا أستطيع أن أصلي معك وصنع له طعاما ودعاه إلى بيته وقال: صل حتى أراك كيف تصلي فأقتدي بك فنضحوا له طرف حصير لهم فقام فصلى ركعتين قيل لأنس: أكان يصلي الضحى؟ فقال: لم أره صلى إلا يومئذ »

❋❋❋❋❋

الصلاة وتعظيم شأن الجماعة

في حياة النبي صلى الله عليه وسلم شُرعت الجماعة في شأن الرجال ، وجاءت النصوص الثابتة في عظيم فضل الجماعة ، وكثرة الأجور التي ينالها قاصد المسجد لأجل الصلاة ، فخطواته ، وسعيُهُ ، وانتظاره ، وشهوده للجماعة كل ذلك مترتب عليه أجورٌ عظيمة ، وهكذا كان شأن الصحابة رضي الله عنهم ، فهم أهل الصفوف الأولى ، وهم الشهود خلفه عليه الصلاة والسلام ، ولم يتخلف عنها إلا منافق معلوم النفاق هكذا يقول ابن مسعود رضي الله عنه ، وفي الصحيح كان الدليل الأقوى الذي يستدل بها مَن أوجب الجماعة من الفقهاء ورأى أن تركها من أشد المعاصي وهو حديث « ثم أنادي بالصلاة ثم أخالف إلى أقوام لايشهدون الجماعة ،

وهذا الحديث جاء في **مسند الإمام أحمد** مذكوراً **بسببٍ ، يؤخذ منه تعظيم شأن الجماعة في قلب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأن هذا التخلف قد أثار غضبه ؛ غضبا كان سببه عدم شهود الجماعة من أناس حول المسجد قد تخلفوا عنها** فعن **أبو هريرة رضي الله عنه** قال : أخّر رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة العشاء حتى تهور الليل ، فذهب ثلثه، أو قرابته، ثم خرج إلى المسجد فإذا الناس عزون، وإذا هم قليلٌ، قال : فغضب غضبا ما أعلم أني رأيته غضب غضبا قط أشد منه، ثم قال : « لو أن رجلا دعا الناس إلى عرق، أو مرماتين أتوه لذلك ولم يتخلفوا، وهم يتخلفون عن هذه الصلاة، **لقد هممت أن آمر رجلا يصلي بالناس**، وأتتبع هذه الدور التي تخلف أهلوها عن هذه الصلاة، فأضرمها عليهم بالنيران » **لاعذر لترك الجماعة**

لقادر وحاضر ،ومَن أحب رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يتخلف عنها وهو يقرأ هذه النصوص الواردة والمتواترة .

❊❋❊❋❊❋

صلاته في الليل

أما صلاته الطويلة في الليل فهي أطول الصلوات وقتاً ، وأكثرها تلاوة ودعاء ، وهي الصلاة التي لا يتركها إلا من عُذر ثم يقضيها في مابين الفجر والظهر ، روى البخاري ومسلم حديث المغيرة بن شعبة رضي الله عنه قال « قام النبي صلى الله عليه وسلم حتى ورمت قدماه، قالوا: قد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر، قال: أفلا أكون عبدا شكورا » وقد روى صفة هذه الصلاة الطويلة من شاهدها من الصحابة يقول عوف بن مالك الأشجعي « قمت مع النبي صلى الله عليه وسلم فبدأ فاستاك وتوضأ ثم قام فصلى فاستفتح البقرة لا يمر بآية رحمة إلا وقف

فسأل ، ولا يمر بآية عذاب إلا وقف فتعوذ ثم ركع فمكث راكعا بقدر قيامه يقول في ركوعه سبحان ذي الجبروت والملكوت والكبرياء والعظمة ثم سجد بقدر ركوعه يقول في سجوده مثل ذلك» وعن ابن عباس : أنه بات عند النبي صلى الله عليه وسلم فاستيقظ من الليل، فأخذ سواكه، فاستاك به، ثم توضأ وهو يقول : ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ حتى قرأ هذه الآيات، وانتهى عند آخر السورة، ثم صلى ركعتين، فأطال فيهما القيام والركوع والسجود، ثم انصرف، حتى سمعت نفخ النوم، ثم استيقظ فاستاك، وتوضأ وهو يقول، حتى فعل ذلك ثلاث مرات، ثم أوتر بثلاث، فأتاه بلال المؤذن، فخرج إلى الصلاة وهو يقول : « اللهم اجعل في قلبي نورا، واجعل في سمعي نورا، واجعل في بصري نورا، واجعل أمامي نورا، وخلفي نورا، واجعل

عن يميني نورا، وعن شمالي نورا، وفوقي نورا، وتحتي نورا، اللهم أعظم لي نورا ».وقد وصف تهجده أم المؤمنين عائشة وابن عباس وحذيفة وابن مسعود وغيرهم رضي الله عنهم أجمعين

❊❋❊❋❊❋

صلاة التطوع، وإثباتها ، وقضاء فائتها

كان من هديه عليه الصلاة والسلام أن يجعل مع طريق التعبد الذي يسير فيه طريقا آخر وهو حسن المواظبة ، وتمام المداومة ، في غير مانقصان ، أو تأخر ، بل **بلغ الأمر أن يقضي مافاته وسُنية قضاء الوتر ثابتة في سنته المُطهرة عليه الصلاة والسلام** ، أما أساس المداومة فقد ذكرت ذلك **أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها** بقولها «**وكان آل محمد صلى الله عليه وسلم إذا عملوا عملا أثبتوه** » وأما طريق التزود والمداومة عليه فعن **أبي أيوب الأنصاري**: أنه كان **يصلي أربع ركعات قبل الظهر**، فقيل له: **إنك تديم هذه الصلاة**، فقال: **إني رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم**

يفعله فسألته، فقال: **إنها ساعة تفتح فيها أبواب السماء، فأحببت أن يرتفع لي فيها عمل صالح**. ويوما جاءه وفدٌ أشغله عن راتبةِ الظهر ، ومعلوم أن هذا الوفد يسأل عن أمر دينه فهو عليه الصلاة والسلام في شُغل مع الدعوة إلى الله ، وحُسن البيان ، ولين الجانب ، فلما انقضى وقته مع الوفد حلّت صلاة العصر وبعد الصلاة في حجرة **أم المؤمنين أم سلمة رضي الله عنها** تراه يصلي في ستر عن أعين الناس وقد بادرته مبادرة طالب العلم ، ومُريد الفائدة ، جاء عن كريب مولى ابن عباس رضي الله عنهما وقد حكى **قصة** فيها بيان لما كان يُشغل الصحابة مِن متابعة رسول الله ، يقول **كريب** أن **ابن عباس**، و**المسور بن مخرمة**، و**عبد الرحمن بن أزهر رضي الله عنهم** أرسلوه إلى **عائشة رضي الله عنها**، فقالوا : اقرأ عليها السلام منا جميعا، وسلها عن الركعتين بعد صلاة

العصر، وقل لها : إنا أخبرنا أنك تصلينهما، وقد بلغنا أن النبي صلى الله عليه وسلم نهى عنها. وقال ابن عباس : وكنت أضرب الناس مع عمر بن الخطاب عنها، فقال كريب : فدخلت على عائشة **رضي الله عنها**، فبلغتها ما أرسلوني، فقالت : سل أم سلمة. فخرجت إليهم فأخبرتهم بقولها، فردوني إلى أم سلمة بمثل ما أرسلوني به إلى عائشة، فقالت أم سلمة رضي الله عنها : **سمعت النبي صلى الله عليه وسلم ينهى عنها، ثم رأيته يصليهما حين صلى العصر، ثم دخل وعندي نسوة من بني حرام من الأنصار، فأرسلت إليه الجارية فقلت : قومي بجنبه. فقولي له : تقول لك أم سلمة : يا رسول الله، سمعتك تنهى عن هاتين وأراك تصليهما، فإن أشار بيده فاستأخري عنه، ففعلت الجارية فأشار بيده فاستأخرت عنه، فلما انصرف** قال : **يا بنت أبي**

أمية، سألت عن الركعتين بعد العصر وإنه أتاني ناس من عبد القيس فشغلوني عن الركعتين اللتين بعد الظهر فهما هاتان ،

نعم هما هاتان لا نقص في ديمومة النوافل ، ولا نسيان لها ، ولا ترك لعظيم فضلها

❊❋❊❋❊❋

الصلاة وقد تقدم به العمر

وهذه المحبة لاحدود لها ، في سلوة خاصة ولها ذوق خاص ، ففي الصلاة تتجلى أكمل صور العبودية ، ويظهر الشكر ، ويتجدد الخضوع والمسألة ، ويدوم التعظيم ، ولايرىٰ المؤمن أنه في غِنىً عن هذه المعاني الجليلة ، وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي هداه الله، وشرح صدره ، وعلمه لايترك هذا الباب ، ولوْ آنس ضعفا سببه تقدم السن ، أو وجود الحاجة البشرية ، جاء في **مسند أحمد** من حديث **حفصة** **رضي الله عنهما** زوج النبي صلى الله عليه وسلم أنها قالت: **لم أر رسول الله صلى الله عليه وسلم يُصلي في سبحته جالسا قط، حتى إذا كان قبل موته بعام، أو**

بعامين، فكان « يصلي في سبحته جالسا، ويقرأ السورة فيرتلها ، حتى تكون أطول من أطول منها»

نعم قد احتاج للجلوس وهو المُشرع لأمته غير أن صلاته لم تكن بالسريعة أو العجلة ؛ حتى وإن كان الجلوس هو الأصل ، بل كان في الأمر ترتيلٌ وتطويلٌ ، والشواهد بعضها يشرح بعضـًا ، وفي قصة مرضه صلى الله عليه وسلم يتفقد الجماعة ، ويريد شهودها في المسجد ، وينقطع مرات متتاليات بسبب الإغماء ، ثم يُحاول تجديد النشاط بالاغتسال ، وهو في كل مرة يسأل عن صلاة الناس يريد اللحاق بها حتى وإن كلفه الأمر زيادة التعب وثقل الخُطى ، وتباعد المسافة وإن كانت في الأصل قريبة ، يقول عبيد الله بن عبد الله كما في مسلم قال : دخلت على عائشة ، فقلت لها : ألا تحدثيني عن مرض رسول الله صلى الله عليه وسلم

؟ قالت : بلى، ثقل النبي صلى الله عليه وسلم، فقال : « أصلى الناس ؟ » قلنا : لا، وهم ينتظرونك يا رسول الله. قال : «ضعوا لي ماء في المخضب ». ففعلنا، فاغتسل، ثم ذهب لينوء فأغمي عليه، ثم أفاق، فقال : « أصلى الناس ؟ » قلنا : لا، وهم ينتظرونك يا رسول الله. فقال : ضعوا لي ماء في المخضب، ففعلنا فاغتسل، ثم ذهب لينوء، فأغمي عليه، ثم أفاق، فقال : « أصلى الناس ؟ » قلنا : لا، وهم ينتظرونك يا رسول الله. فقال : « ضعوا لي ماء في المخضب » ففعلنا فاغتسل، ثم ذهب لينوء، فأغمي عليه، ثم أفاق، فقال : « أصلى الناس ؟ » فقلنا : لا، وهم ينتظرونك يا رسول الله. قالت : والناس عكوف في المسجد ينتظرون رسول الله صلى الله عليه وسلم لصلاة العشاء الآخرة. قالت : فأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أبي بكر أن

يصلي بالناس، فأتاه الرسول، فقال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمرك أن تصلي بالناس. فقال أبو بكر، وكان رجلا رقيقا : يا عمر، صل بالناس. قال : فقال عمر : أنت أحق بذلك. قالت : فصلى بهم أبو بكر تلك الأيام، ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم وجد من نفسه خفة، فخرج بين رجلين أحدهما العباس لصلاة الظهر. وأبو بكر يصلي بالناس، فلما رآه أبو بكر ذهب ليتأخر، فأومأ إليه النبي صلى الله عليه وسلم أن لا يتأخر، وقال لهما : أجلساني إلى جنبه، فأجلساه إلى جنب أبي بكر، وكان أبو بكر يصلي، وهو قائم بصلاة النبي صلى الله عليه وسلم، والناس يصلون بصلاة أبي بكر، والنبي صلى الله عليه وسلم قاعد.

قال عبيد الله : فدخلت على عبد الله بن عباس . فقلت له : ألا أعرض عليك ما حدثتني عائشة عن مرض رسول الله

صلى الله عليه وسلم ؟ فقال : هات، فعرضت حديثها عليه، فما أنكر منه شيئا، غير أنه قال : أسمت لك الرجل الذي كان مع العباس ؟ قلت : لا. قال : هو علي.

❊❋❊❋❊❋

الخاتمة

هذه خلاصة المشاهد التي أحببتُ جمعها وترتيبها ، وقد استعنتُ بالله في هذا الإيراد الذي أرجو أن يكون كاشفا عن عظيم قدر الصلاة في حياته صلى الله عليه وسلم ، ومُبينا لحقيقة معنى قوله « **وجعلت قرة عيني في الصلاة** » فهي أنسُهُ ، وفرحه ، ووقت مناجاته ، وهي العبادة التي يُطيل فيها ؛ ويأنس بها في خلوته ، وفي شهوده ، وحضره ، وسفره ، ونشاطه ، ومرضه ، وفي ليله ونهاره وقد كان دائم التزود منها مُطيلا لركوعها وسجودها وقيامها ، لاسيما صلاته التي تخصه ، وبذلك نرجو أن يتجدد معين المحبة لهذه الصلاة في أنفسنا ، ونتذكر هذه المواقف والمشاهدات التي

حكاها صحابته رضي الله عنهم أجمعين لنزداد بها قربا من الله ، ونحض بها أنفسنا وإخواننا قدر طاقتنا ، وعليه فالمؤمل أن تبحث أخي الكريم عن بعض الكتب التي تُعلقك بهذه الصلاة ترغيبا في فضائلها ، ومعرفة بأحكامها ، والله يهدي من يشاء ويجتبي إليه من يُنيب ، اللهم اغفر لمن حرر هذا الكتاب ، وصمّمه ، وقرأه وانتفع به، وصلى الله وسلم على عبده ورسوله محمد ، وارض عن صحابته أجمعين الذي ماتركوا شيئا يخص صلاته إلا وصفوه بأجمل وصف ؛ وأتم عبارة تبليغا لدينك العظيم ، والحمد لله رب العالمين

❋❋❋❋❋

فهرس

مقدمة ٣-٤

الصلاة قبل أن تكون مساجد..... ٥

الصلاة في المسجد..... ٦-٩

الصلاة وتعظيم شأنها ، والاستعداد الدائم لها..... ١٠-١٦

الصلاة قبل الهجرة..... ١٧-١٩

الصلاة والدعاء..... ٢٠-٢١

الصلاة والتلاوة..... ٢٢-٢٧

الصلاة في ليالي رمضان..... ٢٨-٣٠

الصلاةُ والتعليم..... ٣١-٣٥

الصلاة والمواعظ..... ٣٦-٤٠

الصلاة وبعض الحوادث التي حصلت له ٤١-٤٤

الصلاة والموعظة والبيان..... ٤٥-٤٩

النهوض إلى الصلاة والرجوع إليها..... ٥٠-٥٢

الصلاة مع التعب..... ٥٣-٥٤

الصلاة يوم القِلة.....٥٥-٥٩

الاستغاثة قبل الصلاة.....٦٠-٦١

الصلاة مع الشدة والمرض.....٦٢-٦٧

الصلاة ووقتها.....٦٨-٧٥

الصلاة والفزع إليها والمنة الأولىٰ.....٧٦-٧٨

الصلاة في الحجرة الخاصة.....٧٩-٨١

الصلاة ودعوته لمن حوله ليزدادوا من نوافلها.....٨٢-٨٥

الصلاة حِين نـزول الآيات.....٨٦-٨٩

الصلاة في السفر والقدوم منه.....٩٠-٩٤

الصلاة حِين الأفراح وتجدد النعم.....٩٥-٩٦

الصلاة عند الناس.....٩٧-٩٨

الصلاة وتعظيم شأن الجماعة.....٩٩-١٠١

صلاته في الليل.....١٠٢-١٠٤

صلاة التطوع، وإثباتها ، وقضاء فائتها.....١٠٥-١٠٨

الصلاة وقد تقدم به العمر.....١٠٩-١١٣

الخاتمة ١١٤-١١٥